

الجزء الثاني

الحرب العالمية من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨

مقدمة

حينما وضعت مسودة هذا الكتاب امتنعنا عن تضمينها تحليلًا لحرب سنة ١٩١٤-١٩١٨ لشعورنا بأنه مع توفر المادة الكافية لهذا التحليل سواء في دور المحفوظات ، وفي الشهادات التي أدلى بها الأشخاص ، فإن الجو كان ما يزال متشعبًا بجملة الجدل العلني والمصالح الشخصية لدرجة تحول دون قبول التحكيم قبولًا هادئًا لا تشور له العواطف . وقد كان كل همننا أن الدروس المستخرجة من الماضي لإضاءة المستقبل التي هي في اعتقادنا دروس حيوية حقيقية ، لا تضيق فائدتها بسبب هذا الجوال السائد . فإن الذي نتوخاه إنما هو انعاش روح البحث العلمي ، لا الجدل والمناقشة .

وفضلاً عن ذلك فإننا لم نشعر بأن فحص تاريخ حديث مثل هذا التاريخ أمر ضروري للغرض الذي نرمي إليه . فقد كان غرضنا استخدام نظارة (آلة تعظيم المراثيات) التاريخ السالف — أي مجموعة تجارب العالمين العتيق والحديث — لتكون مجهرًا (مكروسكوبًا) ينظر فيه القارئ بنفسه فيكتشف الدروس المستفادة من سنة ١٩١٤ وكان يظهر أن عدسياته بها القوة الكافية لتمكينه من رؤية هذه الدروس بوضوح وجلاء .

على أن أصدقاءنا من النقاد الذين عرضنا عليهم المسودة الأولى ألحوا علينا بأن نضمنها مطالعة لسنة ١٩١٤-١٩١٨ قصد مطابقة التجارب السالفة على التجارب الحديثة بوضعها على قدم المساواة . وبمجة أن القليل من الطلبة توفرت لديهم أوقات الفراغ والفرص لتنقية سواد المادة التاريخية . فإذا كنت باذعاني لهذه المقترحات اصطدم بجراحاتي القديمة فالعيب هو عيب طريقة المعالجة ، لا عيب الروح الباعثة عليها . على أني بحصر البحث على المدى الذي بلغه كل من الاقتراب المباشر ، والاقتراب غير المباشر في استخدامهما ، والنتائج التي ترتبت على هذا الاستخدام فاني آمل أن أوفق إلى إدارة دفعة سفيتي بحيث لا ترتطم بصخور العواطف والحد . ولكيما نضيق مجال المناقشة والمشادة فإن مطالعاتنا ستقتصر على موضوع الاستراتيجية بصفة رئيسية . استراتيجية الحملات المتنوعة . ولا نتجاوزها إلى موضوع السياسة الحربية إلا بمقدار صغير تقضي به الضرورة .

الباب الحادى عشر

الخطط ونتائجها فى المسرح الغربى سنة ١٩١٤

النقطة التى تبدأ منها مطالعة حملة الجبهة الغربية لابد أن تكون الخطط الموضوعة قبل الحرب . فالحدود الفرنسية - الألمانية كانت ضيقة لا تتجاوز ١٥٠ ميلا طولا ، ولذا كانت تضيق بمناورات كتل الجنود التى أوجدها نظام التجنيد الاجبارى وهياها التطور . والطرف الجنوبى - الشرقى لهذه الحدود يرتكز على بلاد "سويسره" ، وبعد أن تمتد مسافة قصيرة فى أراض مسطحة بالقرب من "بلفورت" ، تمتد مسافة ٧٠ ميلا على طول جبال "الفوزج" ومن هناك يمتد الخط بسلسلة من القلاع تكاد تكون متواصلة لا انقطاع بينها متخذة "إبينال" و "تول" و "فردون" قاعدة لها . وبعد "فردون" وعلى مقربة منها تقع حدود "البلجيك" و "ولكسمبورج" . وفى فترة التجدد واعداد البناء التى أعقبت كوارث سنة ١٨٧٠ كانت خطة الفرنسيين تنطوى على دفاع افتتاحى قاعدته قلاع الحدود ، تأتى بعده ضربة مضادة حاسمة . ومن أجل ذلك أوجدوا مجموعة القلاع العظيمة على طول حدود "الالزاس" - "واللورين" وتركت بينها فتحات مثل فتحة "ترويه دو شارم" بين قلعتى "إبينال" و "تول" لتكون « قناة » يجرى منها الغزو الألمانى المنتظر حتى تكون الضربة المضادة أكثر ضمانا وأشد مفعولا .

وهذه الخطة كانت تمتاز بقدر معين من الاقتراب غير المباشر ربما كان كل ما فى الاستطاعة عمله نظرا لضيق الحدود وحجم كتل الجنود الفرنسية المجندة على النظام الاجبارى ، دون المساس بالأراضى المحايدة .

غير أن (مدرسة) طائفة جديدة ، أى مذهبا جديدا ، من الأفكار نشأت فى العقد السابق لسنة ١٩١٤ ، زعيمها (نبيها) الكلونيل "دوجراند مايسون" . عيبت هذه الخطة بحجة أنها تناقض الروح الفرنسية ، وأنها « تكاد تكون مضیعة تامة لفكرة الحركات التعرضية » . وهنا وجد مروجو فكرة Offensive à Outrance « التعرض بأقصى حد ممكن » مشجعا لنواباهم فى شخص الجنرال "جوفر" الذى تعين رئيسا لهيئة أركان الحرب العامة فى سنة ١٩١٢ فانتهزوا هذه الفرصة وتولوا السيطرة على الآلة العسكرية الفرنسية ، وألقوا الخطة القديمة من حائق ، وضربوا بها عرض الأفق ثم أوجدوا الخطة الجديدة التى أصبحت الآن مشهورة ، أو سيئة السمعة ، وهى الخطة "السابعة عشرة" . وهذه الخطة عبارة عن اقتراب مباشر محض فى صورة تعرض طائش ضد القلب الألمانى (أى منتصف الجيش الألمانى) تقوم به « كل القوات متحدة » . ومع ذلك فكان الفرنسيون فى خططهم هذه القائمة على الحركات التعرضية الجبهية ،

على كل الجبهة ، يعتمدون على قوتهم العددية التي لا تريد عن قوة العدو . مع أنه يستطيع استمداد العون من منطقة حدوده المحصنة ، في حين أنهم حيناً يندفعون الى الأمام يتبرأون من كل ميزة يستفيدونها من أما كنهم المحصنة . والشئ الوحيد الذي روعيت فيه التجارب التاريخية وسلامة الذوق في هذه الخطة هو أن قلعة "متس" كان مقرراً لها أن تسترلاً أن تهاجم بالذات . بل أن يمر الهجوم من جنوبها وينفذ الى "اللورين" ، ومن شمالها كذلك . وهذا الجناح الأخير (أى المهاجم من شمالها) يوالى حركاته التعرضية الى أراضى "لو كسمبوج" البلجيكية اذا ما أخل الألمان بحياد البلاد المحايدة . ومن الألفاظ التاريخية أن الخطة الفرنسية استمدت الهامها من "كلاوزيفتر" الألماني ، في حين أن خطة الألمان كانت أقرب الى الخطة النابليونية في أصلها ، وإن كانت ما تزال أقرب من الهانبالية .

أما نصيب جنود التجريدة البريطانية في الخطة الفرنسية فكان قد تمت تسويته في العقد السابق لسنة الحرب تسوية كان أثر الحساب فيها أقل من أثر صيغ التنظيم العسكى البريطانى والرأى البريطانى بالصيغة « الأوروبية » . وهذا النفوذ الأوروبى جر بريطانيا تدريجياً دون أن تشعر لأن تقبل ضمنا دور الملحق أى التابع للجناح الفرنسى الأيسر . بعيدة عن استغلالها التاريخى لسرعة الحركة والتنقل التى أعطتها إياها قوتها البحرية . وفى مجلس الحرب الذى عقد حينما نشبت الحرب أشار اللورد "روبرتس" ، الذى استدعى من التقاعد ، بارسال قوة التجريدة البريطانية الى ساحل البلجيك — حيث كانت تزيد المقاومة البلجيكية صلابه . وكانت مجرد الموقف الذى تتخذه تهدد الجناح الخلفى للجيش الألمانية أثناء زحفها مجتازة "بلجيكا" الى فرنسا . على أن الجنرال "هنرى ولسون" بصفته مديراً للعمليات الحربية كان قد أعطى وعداً عن هيئة أركان الحرب العامة لأن تعمل بالتعاون مع الفرنسيين مباشرة . فقد مهدت المفاوضات العسكرية غير الرسمية التى جرت بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٤ السبيل لقلب السياسة الحربية العتيقة التى اتبعتها إنجلترا منذ أجيال .

وهذا « الأمر الواقع » لم يتغلب على الفكرة الاستراتيجية التى أبداهـا "روبرتس" فحسب ، بل تغلب أيضاً على رغبة "هايج" فى إرجاء انزال الجنود الى البر حتى يصبح الموقف أكثر وضوحاً ، وحتى على اعتراض "كتشتر" ذلك الاعتراض الذى اقتصر على تجمع قوة التجريدة مقربة من الفرنسيين ومن الحدود بهذه الدرجة .

وكانت الخطة الفرنسية المنقحة هى الشئ الوحيد الذى يجعل الخطة التى وضعها "الجرفاف فون شليفن" فى سنة ١٩٠٥ اقتراباً غير مباشر حقيقة . فلما وجد الألمان أنفسهم أمام سور من القلاع التى أقامها الفرنسيون على حدودهم أصبح الطريق العسكى أمامهم ، الذى يقضى به المنطق ، هو الدوران حول هذه القلاع — عن طريق "بلجيكا" . فقد صمم "شليفن" على انتهاج هذا السبيل والابتعاد عن القلاع الفرنسية بقدر الامكان . ومن الغريب أن القيادة

الفرنسية ، حتى حينما غزيت البلجيكي في شهر أغسطس سنة ١٩١٤ ، ما كانت تعتقد أن
الالمانيين ينفذون الا من أقصر طريق ، أى جنوبى نهر "الموز". أما خطة "شليفن" فقد
كانت حشد سواد القوات الألمانية على الجناح الأيمن لتدور هذه الدورة الهائلة . فكان
المقرر أن يكتسح الجناح الأيمن "بلجيكا" من أولها الى آخرها وفرنسا الشمالية ويستمر في قطع
قوس متسع ثم يدور تدريجيا نحو الشرق . ولما تمر منتهى ممينة هذا الجناح بجنوبى "باريس"
وتعبر نهر "السين" بالقرب من "روين" فانها تصد الفرنسيين وترجعهم نحو نهر "الموزيل"
فيقعون بين المطرقة والسندان الذى وراءهم المكون من قلاع "اللورين" وحدود
"سويسرة" .

على أن المهارة الحقيقية في هذه الخطة وكونها غير مباشرة ليست في الدورة الجغرافية ولكنها
في الفكرة التي أملت توزيع الجنود . فقد كان القصد الحصول على مفاجأة افتتاحية بادماج
فيالق احتياطية بالفيالق العاملة في الكتلة القائمة بالحركات التعرضية ، من أول الأمر ، فمن الفرق
التي بلغ عددها بعد هذا الادماج ٧٢ فرقة ، خصصت ٥٣ فرقة لكتلة الدوران . ووضعت
عشر فرق مقابل "فردون" لتكون محورا للدوران . ولم يترك للجناح الأيسر على طول الحدود
الفرنسية سوى تسع فرق . وانقاص الجناح الأيسر على هذه الصورة الى أصغر حجم ممكن
كان نتيجة حساب يشف عن المهارة والدهاء ، يزيد تأثير الكتلة الدائرة بسبب ضعفه .
لأن الفرنسيين الهاجمين في "اللورين" اذا ضغطوا الجناح الأيسر وأرجعوه نحو نهر "الرين"
تعذر عليهم صد الهجوم الألماني الآتي من خلال البلجيكي . ولما تقدموا ازدادت مصاعبهم
فمثل موقفهم كمثل باب دائر حول محور له اذا ضغط الانسان بشدة على أحد جانبيه دار جانبه
الآخر حول الانسان وصدمه من وراء . وكلما ازداد ضغطه كلما اشتدت الضربة . فمن
الوجهة الجغرافية كان حجم القوات الهائل بالنسبة لمسرح العمليات يجعل حركة "شليفن" باختراقها
بلاد البلجيكي حركة اقتراب استراتيجي غير مباشر بمقدار محدود . أما من الوجهة المعنوية
(النفسية) فكان التصميم الذى وضعه لتوزيع القوة في الجناح الأيسر يجعل الاقتراب غير مباشر
بصورة قطعية . ثم جاءت الخطة الفرنسية بفعلته بالغا حد الكمال . فاذا استطاع روح في عالم
الأرواح أن يضحك في سره فما أخرى روح "شليفن" الراحل أن يملكه الضحك حينما يرى
أن الفرنسيين لم يكونوا في حاجة الى من يستدرجهم الى الشرك الذى نصبه لهم . غير أن ضحك
لا بد أن ينقلب سريعا الى غضب . لأن خلفه "مولتكه" - (الصغير) اسما ولكنه الأكبر
من حيث الحذر - ترك خطة "شليفن" أثناء التنفيذ كما سبق له أن عدلها وأفسدها في
الاستعدادات التي اتخذت قبل الحرب .

فانه في الفترة ما بين سنة ١٩٠٥ - ١٩١٤ لما كثرت الجنود زاد قوة الجناح الأيسر
بما لا يتعادل مع نسبته للجناح الأيمن . فلما زاده تأمينا جعل الخطة غير آمنة . ثم شرع ينخب
في أساسها نجبا مستمرا الى أن انهارت .

فلما تطورت الحركات التعرضية الفرنسية في أغسطس سنة ١٩١٤ استهوى تطورها "مولتكه" فقبل التحدى بطريقة مباشرة ساعيا الى حصول حسم في "اللورين" مرجئا دورة الجناح الأيمن . فلم ينتج ذلك الا تأثيرا وقتيا . ولكنه في هذه الفترة القصيرة كان قد حول الى "اللورين" ست فرق احتياطية شكلت حديثا كان ينبغي ارسالها الى جناحه الأيمن تعزيزا لقوته . وهذه الزيادة الجديدة جعلت الأمراء المتولين القيادة في "اللورين" يزدادون أنفة من تنفيذ دورهم المكلفين به الذي يتطلب منهم ضبط النفس . فان البرنس "روپريخت" أمير "بافاريا" بدلا من أن يستمر في التقهقر ويحرق الفرنسيين وراءه أوقف جيشه واستعد للاشتباك في معركة . ولما رأى الهجوم الفرنسي مبثطا في تطوره اتفق مع جاره على أن يتندراه بهجوم منهما . وكان الجيشان يتألفان اذ ذاك من ٢٥ فرقة مقابل ١٩ فرقة فكان ينقصهما التفوق والموقع الاستراتيجي ليجعلا الضربة المضادة حاسمة . فكانت النتيجة مجرد ارجاع الفرنسيين الى حدودهم المحصنة . وبذلك لم يستعيدوا قوة مقاومتهم وزيادتها لحسب ، بل انهم تمكنوا من ارسال جنود نحو الغرب لمعركة "المارن" .

فاعمال الألمان في "اللورين" أفسدت خطة "شليفن" أكثر مما أفسدها انقاص قوة الجناح الأيمن والدور الذي كان مقررا له وان كان ذلك الافساد بصورة أقل وضوحا . وعلى كل حال فمن هنا جاء السبب المباشر للانهيال . فقد أخذ "مولتكه" سبع فرق من الجناح الأيمن لحصار "موبوج" و "جيفيت" و "انتورپ" أو لحراستها . ثم أخذ أربع فرق لتقوية جبهة بروسيا الشرقية . وعند ما دار جيش "كلوك" الكائن في منتهى الميمنة الى الداخل قبل الأوان ، بناء على طلب جاره وبترخيص "مولتكه" ، وبدورته أعطى حامية باريس فرصة لضربه من الجنب ، كان الواقع ، وهو أن الفرق الألمانية التي كانت موجودة اذ ذاك ١٣ فرقة بقابلها ٢٧ فرقة فرنسية — بريطانية على ذلك الجنب الحاسم ، يبين بأجل صورة الكيفية التي أضعف بها (جناح "شليفن" الحاسم) — مباشرة وغير مباشرة . لأنه اذا كان ضعف الألمان ناشئا عن انقاص قوة الجناح الأيمن ، فان تفوق الفرنسيين كان ناشئا عن عمل الجناح الألماني الأيسر الذي لم يكن على شيء من حسن التدبير .

ومع أن معركة "المارن" عبارة عن اجتياز الحد المبهم الكائن بين الاستراتيجية والتكتيك فان تلك الفترة التي تغيرت فيها حالة الحرب تلقى كثيرا من الضوء على مسألة "الاقتراب" . فهي جديرة بالفحص . ولكي تنعكس هذه الأضواء لا بد لها من صفحة تنعكس عليها هي الحوادث التي وقعت .

فارتداد جناح "جوفر" الأيمن في "اللورين" أعقبه تقهقر قلبه (أى منتصف جيشه) وطرده لايلى على شيء في مقاطعة "الأردن" ، ثم نجاة جناحه الأيسر بكل صعوبة من كارثة الاحاطة به بين نهري "السامبر" و "الموز" بعد أن كان متأخرا في انتشاره . فلما أخفقت

الخطوة "السابعة عشرة" وتقطعت أوصالها كَوْن "جوفر" خطة جديدة من الانقراض . فاستقر رأيه أن يدور بمسيرته وقلبه الى الوراء متخذاً "فردون" مركز الدوران أى المحور، بينما يسحب جنوداً من ميمته الممزقة ليشكل منها جيشاً سادساً جديداً يجعله على ميسرته .

أما عند الألمان فإن التقارير الأولى المنمقة التى أرسلها قادة الجيوش الى القيادة العليا الألمانية عن المعارك التى وقعت على الحدود كانت قد أدخلت فى روعها أنها قد انتهت بنصر حاسم . وبعد ذلك لما رأى "مولتكه" أن عدد الاسرى كان قليلاً نسبياً داخله الشك وأخذ يقدر الموقف تقديراً أكثر رصانة . فهذا التشاؤم الذى أبداه "مولتكه" حديثاً ، باشتراكه مع إعادة التفاؤل الذى أبداه قادة الجيوش أوجداً خطة جديدة ، غير الأولى ، كانت تحمل فى ثناياها بذور الكارثة . فعند ما تفهقر الجناح الأيسر البريطانى فى ٢٦ أغسطس من "لوكاتو" بعد أن تضعضع ، اتجه جيش "كلوك" الأول نحو الجنوب الغربى مرة أخرى . وهذا الاتجاه وإن كان سبب اتخاذ إساءة فهم خط الرجعة الذى اتخذه البريطانيون ، من جهة ، فإنه كان مطابقاً لحركة "كلوك" الأصلية أيضاً التى هى الدوران على دائرة متسعة كاسحة . فلما أوصله الى داخل الساحة الواقعة بين "أميان" و "بيرون" حيث كانت العناصر الأولى من الجيش الفرنسى السادس الذى تشكل حديثاً ، آخذة فى النزول من القطارات بعد "تحويلها" من "اللورين" . اضطر الجيش السادس لأن ينسحب على وجه السرعة . وبذا ترحز تصميم "جوفر" وهو استئناف التعرض قريباً .

غير أن "كلوك" ما كاد يدور نحو الجنوب . الغربى حتى اضطر أن يدور الى الداخل ثانياً . لأن "جوفر" لى يخفف الضغط عن البريطانيين كان قد أمر الجيش المجاور له (جيش "لانريزاك") بالوقوف وتوجيه ضرباته الى الوراء نحو الجيش الألمانى الثانى (جيش "بولو") الذى كان يتعقب البريطانيين . فلما أثر هذا التهديد فى "بولو" استعان "بكلوك" . ولما هجم "لانريزاك" فى ٢٩ أغسطس أوقف هجومه "بولو" قبل أن يحتاج الى المساعدة ولكنه بالرغم من ذلك طلب من "كلوك" أن يدور لى يقطع على "لانريزاك" رجعه . وقبل أن يلجئ "كلوك" هذا الطلب عرض الأمر على "مولتكه" . ووصل هذا الطلب الى "مولتكه" فى اللحظة التى بدأ فكره فيها يرتبك من جراء الحالة العامة بسبب الطريقة التى كان الفرنسيون ينفلتون بها من بين ذراعيه . وخصوصاً من جراء الفتحة التى تواجدت بين الجيش الثانى والثالث . ولهذا السبب صرح "مولتكه" "بكلوك" بأن يغير اتجاهه وهذا معناه التخلي عن حركة الدوران الواسعة الأصلية التى تدور حول الجانب الأبعد من "باريس" . أما الآن فإن جناح الخط الألمانى الدائريم بالجانب الأقرب من باريس وأمام وجه دفاعات باريس فتمد ضحى "مولتكه" بالآمال الواسعة التى تتطوى عليها الدورة الواسعة المرسومة فى خطة "شليفن" فى سبيل السلامة . بأن قصر جهته وضمها وجعل اقترابه أكثر مباشرة . وكانت النتيجة أنه بدلاً من أن يقلل الخطر جلب على نفسه ضربة مضادة مميتة .

فحصل البت في التخلي عن الخطة الاصلية بصورة قطعية في ٤ ديسمبر واستعاض عنها "مولتكه" باحاطة القلب والميمنة الفرنسيين في نطاق أضيق . فكان على قلبه هو أى جيشي الوسط (الرابع والخامس) أن يضغظا جنوبا فشرقا ، بينما تقوم ميسرته (الجيشان السادس والسابع) بتوجيه ضرباتها جنوبا فغربا محاولة اختراق المنطقة المستحكمة التي كانت حاجزا قائما بين قلعتي "تول" و "إمينال" . وبهذه الكيفية ينطبق "الفكان" الى الداخل على جانبي "فردون" وفي نفس الوقت تدور مهمته (الجيشان الأول والثاني) الى الخارج وتتجه نحو الشرق لتصد أية حركة مضادة يحاول الفرنسيون القيام بها من جوار باريس .

على أن هذه الحركة المضادة كانت قد بدأت قبل ما تحدث هذه الخطة الحديثة أثرها . فلاحث هذه الفرصة لا أمام "جوفر" الذي كان قد أمر بموالة التقهقر ، ولكن الذي أدركها هو "غاليني" محافظ باريس العسكري . ففي ٣ سبتمبر أدرك "غاليني" معنى دوران "كلوك" الى الداخل ، فوجه الجيش السادس تحت قيادة "مونوري" للاستعداد لانتزال ضرباته بالجنح الألماني الأيمن المكشوف ، وفي اليوم التالي تحصل على تصريح بذلك من "جوفر" بكل صعوبة . لما اقتنع "جوفر" حتى أخذ يعمل بحزم وعزم . وصدر الأمر الى كل الجناح الأيسر بالانقلاب والعودة الى الحركات التعرضية العامة ابتداء من ٦ سبتمبر . أما "مونوري" فكان قد سبق الى العمل في الخامس من سبتمبر . ولما ازداد ضغطه على الجناح الألماني الحساس اضطر "كلوك" لأن يسحب جزءا من جيشه ثم اتبعه ببقية الجيش لمعاونة حرسه الجنبي المهدد . وبذلك تواجدت فتحة بين الجيشين الأول والثاني اتساعها ٣٠ ميلا . وهذه الفتحة لا يسترها سوى ستار من الفرسان . أما الذي جراً "كلوك" على هذه المجازفة فهو تقهقر البريطانيين بسرعة أمام هذا القطاع الخالي . فحتى في يوم ٥ سبتمبر استمر البريطانيون في سيرهم نحو الجنوب لمدة يوم كامل بدلا من أن ينقلبوا راجعين . غير أن هذا "الاختفاء" كان هو سبب النصر وهو سبب غير مباشر وجاء عن غير قصد . فان البريطانيين حينما انقلبوا راجعين كان خبر زحف قولاتهم على الفتحة السبب الذي أدى "بيولو" لأن يصدر أمره بتقهقر الجيش الثاني في ٩ سبتمبر . فزال بذلك الميزة الوقتية التي كان الجيش الأول قد حصل عليها ضد "مونوري" بعد أن تحول عن عمله الأصلي وانفصل عنه ، فتقهقر في نفس ذلك اليوم . وفي يوم ١١ سبتمبر كان التقهقر قد شمل كل الجيوش الألمانية إما باستقلال كل منها عن الآخر ، وإما بأوامر "مولتكه" . وكانت محاولة القيام بحركة احاطة جزئية محورها "فردون" قد أخفقت وحطم الفك المكون من الجيشين السادس والسابع أسنانه في دفاعات (استحكامات) الحدود الفرنسية الشرقية . ومن الصعب أن يفهم الانسان كيف ساع للقيادة الألمانية ، عقلا ، أن تعتمد على احراز اقتحام جهبي بتدبير وقتي اتخذ على عجل ، مع أن الحساب الهادئ الذي عمل قبل الحرب قد أبان لهم خطره لدرجة أدت بهم لأن يتخذوا ذلك القرار العظيم الخطر وهو قرار الزحف عن طريق "بلجيكا" لأنه الطريق الآخر الممكن .

ومجمل القول ان الذى بت فى مصير معركة "المارن" هما صدمة وشق . فالصدمة كانت بهجوم "مونورى" على الجناح الأيمن الألماني فتسبب عنها شق فى نقطة ضعيفة فى الخط الألمانى هى نقطة اتصال جيشين . وهذا الشق المادى تولد عنه شق معنوى فى القيادة الألمانية .

والذى تلاحظه أمام تلك الوقائع هو أن حركة "كلوك" غير المباشرة ، وهى دورته الى الخارج ، بعد "لوكاتو" كان لها قيمتها فى احباط خطة "جوفر" الثانية - وهى العودة سريعا الى انتهاج الحركات التعرضية . وفى ازدياد سرعة قوة الدفع الخطرة الناشئة من تفهقر الفرنسيين والبريطانيين . كما كانت دورته الى الداخل ، التى جاءت على أثر ذلك ، خطرا عظيما على الخطة الألمانية . ونلاحظ ، ثانيا ، أن اقتراب "مولتكه" الاستراتيجى صار يزداد استقامة (أى يصير مباشرا) وأن الاقتحام الجبهى الذى قام به الجناح الأيسر الألمانى لم يقتصر على الفشل الذى كلفه خسائر ، بل انه لم يأت بنتيجة استراتيجية تعوض ما أصابه من الخسائر .

والقول بأن تفهقر "جوفر" كان اقترابا غير مباشر لا يخلو من المبالغة . فان فرصة معركة "المارن" جاءت عفوا ، فلم تخلق ، حتى ولم يسع فى خلقها أحد . أما هجوم "غالينى" فجاء فى الوقت المناسب ، قبل أن يتمكن الجيشان الألمانيان الأول والثانى من اتخاذ أوضاع جديدة لحراسة الجناح . ولكنه كان مباشرا بدرجة كبيرة جدا لا يستطيع معها الحصول على نتائج حاسمة . وكان يكون مباشرا بدرجة أكبر لو أنه وقع جنوبى نهر "المارن" طبقا للتعليمات الأولى التى أصدرها "جوفر" . وأخيرا ترى أن الحسم الحقيقى أى الحركة التى اضطرت الألمان لأن يتفقهروا ، وان كانت لا تزيد عن ذلك ، كان سببها "اقتراب غير مباشر" جاء على غير قصد فى صورة فصل مسرحى محض . ذلك هو "اختفاء" قوة التجريدة البريطانية ثم ظهورها ثانيا ، الذى حصل متأخرا لحسن الحظ ، أمام نقطة اتصال الجناح الأيمن الألمانى التى لاقت من الشدة ما لاقت وحل بها الضعف . وقد لامها نقاد الفرنسيين على ذلك التأخير وفتهم أنه جاء بدليل بديع على صدق خرافة الأرنب والسلحفاة وان كان من نوع آخر . فلو أنها أسرع فى العودة لما وجدت نقطة الاتصال بهذا الضعف . وما كان فى امكان هجوم "مونورى" أن يأتى بالحسم لأنه كان قد وقف قبل ذلك ، بينما كان الفيلقان الألمانيان المأخوذان من نقطة الاتصال لا يزالان سائرين ولم يشتركا فيما حصل .

وفى تحليلنا أسباب تفهقر الألمان لا بد لنا من مراعاة عامل كان المعتاد اهماله وعدم مراعاته . ذلك هو الشعور الذى تواجد لدى القيادة العليا بسبب الأخبار الواردة من انزال جنود على الشاطئ البلجيكي واحتمال تهديدها لمؤخرتهم ومواصلاتهم . وهذا الشعور أدى بهم لأن يفكروا فى الانسحاب حتى قبل أن تبتدئ معركة "المارن" . فان القاء مقام "هنتش" ممثل القيادة العليا ، حضر الى الجيش الأول فى يوم ٥ سبتمبر بآخر أمر صدر لاتخاذ الحيلة

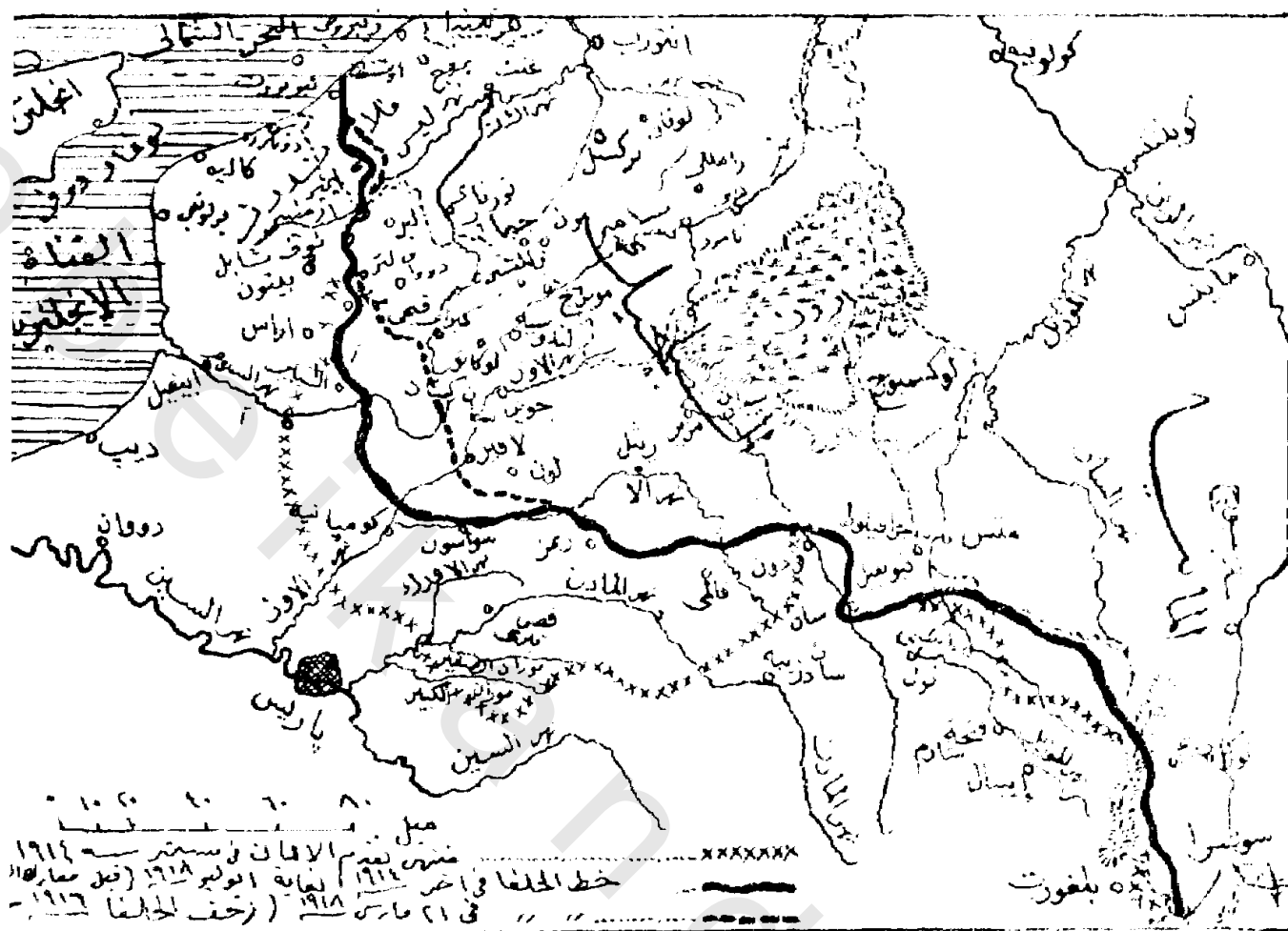
وأعلمه بأن : ” الأخبار رديئة ، وأن الجيشين السابع والسادس أوقفا أمام ” نانسي ” و ” إيدنال ” . وأن الجيشين الرابع والخامس يلاقيان مقاومة قوية . والفرنساويون يشحنون جنودا بالسكة الحديدية من ميمنتهم نحو باريس . وأن الانجليز سينزلون جنودا جديدة الى البر على الدوام ، ولا شك في أنهم يتزاونها على الشاطئ البلجيكي . وهناك إشاعات بقدم تجريدة روسية الى هذه الجهات . فالانسحاب سيصير أمرا لا بد منه “

فان حدة حساسية القيادة الألمانية ضاعفت عدد جنود ثلاث أورط من الجنود البحرية نزلت الى البر في ” أوستند “ لمدة ٤٨ ساعة بغلعتها فيلقا قوامه ٤٠.٠٠٠ جندي . ويقال ان فكرة الروس أوجدها مخيلة رجل انجليزى وظيفته حارس فى السكة الحديدية — فيجب أن يقام تمثال فى ” هرايت هول “ للمارس المجهول “ ومؤرخو المستقبل لهم أن يعتبروا جماعة هؤلاء الزوار الذين زاروا ” أوستند “ زيارة وقتية ، وخرافة الروسيين ، السبب الأصلي فى الانتصار فى معركة ” المارن “ .

ففى روعى التأثير الأدبى الذى أحدثته هذه القوات الخيالية ، مع حجز قوات ألمانية فعلا فى البلجيك خشية قيام البلجيكيين بحركة خروج من ” انتورب “ ، وهذه الحركة تطورت فى يوم ٩ سبتمبر ، فالذى يلوح هو أن ميزان الرأى تنقل كفته كثيرا فى جانب الاستراتيجية التى أوصى بها ” روبرتس “ على غير طائل والتى لو اتبعت لكان من الممكن أن يكون لقوة التجريدة البريطانية أثرايجابى حاسم فى النضال لا مجرد أثر سلبي .

وكان ” فالكنهاين “ الذى حل الآن محل ” مولتكه “ يقدر التهديد الخفى الآتى من الساحل البلجيكي الى مؤخرة الألمان حق التقدير دائما . فكانت أول خطوة خطاها هى اخضاع ” انتورب “ ومنها تولدت بذور مناورة فيها رائحة الاقتراب غير المباشر . ومع ان تنفيذها لم يبلغ الدرجة التى بلغها ابتكارها وكان تنفيذها أكثر استقامة (أى الحركة المباشرة) من الابتكار ، فقد كانت كافية لأن تؤدى بالحلفاء الى حافة الكارثة مرة أخرى .

أما التعقب الجبهى الذى قام به الحلفاء فكان قد أوقف قطعيا على نهر ” الاين “ قبل أن يقرر ” جوفر “ أن يشكل جيشا جديدا ويحعله تحت قيادة ” دوكلستناو “ ليقوم بحركة تجاوز الجناح (وهى حركة يقصد بها تجاوز جناح العدو تمهيدا للالتفاف حوله) . وذلك بعد أن رأى أن محاولة ” مونورى “ الانطواء على الجناح الألمانى غير مجدية (الانطواء على الجناح هى حركة يصل بها جيش أو قسم منه الى الاتصال بجناح جيش العدو من الخلف) . وفى ذلك الحين كانت الجيوش الألمانية قد استعادت اتصال بعضها ببعض وانضمامها وكانت القيادة الألمانية على استعداد لمقابلة مناورة محدودة من هذا القبيل أصبحت الآن فى خط الانتظار الطبيعى . ثم انقضى الشهر التالى فى سلسلة محاولات كانت واضحة كل الوضوح وعقيمة كل



العمم قام بها كل من الفريقين لينطوى على جناح خصمه الغربى — وهى المرحلة التى سماها الجمهور خطأ "السباق الى البحر" فداخل "فالكنهاين" الملل من هذه الألعبوبة قبل أن يلها "جوفر" بمدة طويلة ، ووضع خطة فى ١٤ أكتوبر لشرك نصبه للحلفاء ليقعوا فيه فى محاولتهم الثانية التى تنبأ بحصولها . فخصص جيش الجناح الذى شكله حديثا ، لملاقاة هذه المحاولة وانتقائها . بينما يقوم جيش آخر مؤلف من الجنود التى أتت من "انتورب" بعد سقوطها وأربعة فيالق شكلت حديثا ، باكتساح الساحل البلجيكي ، فيسحق جناح الحلفاء الهاجمين ويطويه الى الداخل ثم ينقض على مؤخرتهم ، وبلغ به الأمر أن أوقف موقعا الجنود التى كانت تتعقب جيش الميدان البلجيكي بعد خروجه من "انتورب" حتى لا يزعج قيادة الحلفاء قبل الأوان .

ولكن لحسن الحظ أبى الملك "ألبرت" أن يلبى دعوة "فوش" له لأن يشترك فى هذا المجهود الأخير وهو السعى ليجاوز جناح العدو ، وامتنع عن مبارحة ناحية الساحل ، ملهما فى ذلك بالتزام الحذر أو بمراعاة الحقائق المادية . ولهذا السبب أصبح الجيش البلجيكي فى موقف يستطيع فيه مقاومة حركة الاكتساح الألمانية الآتية من الشمال . وفى آخر الأمر استطاع احباطها باغراق الشقة المنخفضة من الشاطئ باطلاق المياه عليها . وهذا اضطر "فالكنهاين" لأن يقوم باقتراب أكثر استقامة فى اتجاهه نحو جناح الحلفاء الذى كان قد امتد حديثا حتى "اير" بوصول فيلق هايج من نهر "الايين" ومع أن الزحف الذى حاوله البريطانيون الذين وصلوا أولا ، أى الميمنة والقلب ، كان قد أعيق فان السير "جون فرنش" أمر الميسرة أى "هايج" بأن يحاول تحقيق حلم "جوفر" وهو تجاوز جناح العدو . ولحسن الحظ أيضا اتفق وقوع هذه المحاولة فى الوقت الذى افتتح فيه الألمان هجومهم الذى كان قبل الأوان نجابت فى مبدأها . ولو أن "فرنش" بقى وانتقاه هذا "الهجوم" تحت تأثير "فوش" لمدة يوم أو يومين بينما كانت جنود "هايج" تلاقى مشقة زائدة حتى فى المحافظة على أماكنها . فان أوهام الرؤساء الفرنسيين والبريطانيين فيما يختص بحقيقة الموقف ربما كان يرجع اليها بعض الأسباب التى جعلت معركة "اير" معركة "انكرمن" "معركة جنود" فى جوهرها . ثم ان "فالكنهاين" أيضا يجرد ماخاب أمله فى اكتساح الساحل بقى مصرا لمدة شهر على محاولة ارغام الحلفاء على الفصل الحاسم ، باقتراب مباشر . ولما فاز الدفاع المباشر بالرغم من ضعفه ، على الهجوم المباشر كما هى العادة ، توطد حاجز الخنادق من حدود سويسرة الى البحر ونشأ التوقف فى الجانين .

المسرح الغربى من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩١٧ — ان السجل العسكرى (التاريخ العسكرى) للتحالف الفرنسى — البريطانى مدة الأربع سنين التالية هو عبارة عن قصة محاولة تحطيم هذا السد ، إما باختراق الحاجز والنفوذ منه ، وإما باتهاز فرصة للغامرة بالالتفاف حوله بأى طريقة .

ففي الجهة الغربية وما احتوت عليه من خطوط متوازية من المتاريس لانهية لها أصبحت الاستراتيجية خادمة للتكتيك . وحتى التكتيك أصبح مقيدا فالجانب الاستراتيجي في سني ١٩١٥-١٩١٧ لا يستدعي كثيرا من البحث . ففي جانب الحلفاء كانت الاستراتيجية استراتيجية اقتراب مباشر محض فلم يكن لها أثر في ازالة هذا التوقف . ومهما يكن رأينا في قيمة الانهالك ، وفيما قيل من أن كل هذه المدة يجب اعتبارها بمثابة معركة واحدة مستديمة ، فإن الطريقة التي تستلزم أربع سنين لاحداث حسم لا تعتبر نموذجاً يقاس عليه .

ففي "نوف شابل" اذا كان الاقتراب في المحاولة الأولى الدقيقة التي حصلت في سنة ١٩١٥ مباشرا ، فإن المفاجأة التكتيكية على الأقل قصدت وأمكن الحصول عليها . أما بعدها فلما اتبعت طريقة "الانذار" بضرب المدافع المستطيل الأجل فقد صارت كل المحاولات عبارة عن لحظات جبهية "مكشوفة" ومن هذا النوع كان كل من التعرض الفرنسي بالقرب من "اراس" في مايو سنة ١٩١٥ والتعرض الفرنسي - البريطاني الذي حصل في سبتمبر سنة ١٩١٥ في "شامانيا" شمالي "اراس" وفي يولييه ونوفمبر سنة ١٩١٦ على نهر "السوم" وفي أبريل سنة ١٩١٧ على نهر "الين" وفي "اراس" . وأخيرا التعرض البريطاني في "اير" من يولييه الى أكتوبر سنة ١٩١٧ الذي استغرق مثل الملك شارلس الثاني "زمننا طويلا في موته" في مستنقعات "باشنديل" وفي ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٧ أعيدت المفاجأة التكتيكية الى الحياة باستخدام ككل الدبابات التي انطلقت بجأة بدلا من ضرب المدافع التمهيدى الطويل الأجل . على أن هذا الهجوم الصغير الذي ابتداء بحسن الطالع وانتهى سيئ الطالع لا يستحق اسم اقتراب غير مباشر من الوجهة الاستراتيجية .

أما في الجانب الألماني فقد كانت الاستراتيجية دفاعية محض ، الا في فترة "فردون" في سنة ١٩١٦ وهذه أيضا كانت اقترابا مباشرا في جوهرها ، الا اذا كانت فكرة استنزاف دم العدو الى أن يموت . بواسطة سلسلة من الديدان التي تمتص الدماء تستحق اسم ، غير مباشر . ولكن الاسراف في بذل الديدان أدى الى الافلاس منها .

والذي يقرب من نوع الاقتراب غير المباشر ، ولكنه دفاعي محض في غايته ، هو ما فعله "لودندورف" من سحب جزء من الجنود الألمانية الى خط "هندنبورج" في ربيع سنة ١٩١٧ الذي دل على مقدرته في التفكير والتمهيد . فلكي يستبق الحوادث ويبادر بالاستعداد لملاقاة التعرض الفرنسي - البريطاني حينما يستأنف على نهر "السوم" ، أمر باقامة خط جديد من الخنادق على وتر القوس المكون من "لتر - نويون - ريمز" قواه تقوية صناعية عظيمة . وبعد أن أتلّف كل شيء في كل الساحة الواقعة داخل هذا القوس انسحب بطريقة نظامية

الى الخط الجديد الذى كان أقصر من سابقه متقلا مرحلة مرحلة . فهذه المناورة التى امتازت بالشجاعة الأدبية أثناء التخل عن الأراضى ، زحزحت خطة الحلفاء الموضوعة للتعرض فى فصل الربيع ، من أساسها . وبهذه الوسيلة اكتسب الألمان فرصة سنة قضوها بمنجاة من الأخطار ومن حركات الحلفاء التعرضية المشتركة . وفى هذه المدة تم انحلال روسيا وتمكن "لودندورف" من بذل مجهوده السامى فى طلب النصر فى سنة ١٩١٨ بقوة متفوقة .

الباب الثانى عشر

المسرح الشمالى الشرقى

فى الجهة الشرقية كانت خطط الحملة أكثر تفلقلا منها فى الجهة الغربية وأقل اتقاناً ووضعا — وان كانت مناظرها متعددة الصور والأشكال يتحول فيها طالع الحرب من جانب الى جانب كما حصل فى الميدان الغربى والعامل الذى يمكن حسابه فيها هو العامل الجغرافى . أما العامل الرئيسى الذى لا يمكن حسابه فهو معدل احتشاد القوات الروسية . ثم ان بولندا الروسية عبارة عن لسان من الأراضى متسع بارز من بلاد روسيا الأصلية ومحاط من أجنابه الثلاثة بأراض ألمانية أو نمساوية . فعلى جانبه الشمالى تقع بروسيا الشرقية ووراءها بحر ”البلطيك“ وعلى جانبه الجنوبى يقع الاقليم النمساوى ”غاليسيا“ ووراءه جبال ”الكربات“ تحرس طرق الاقتراب (الموارد) الموصلة الى بلاد المجر . وعلى الجهة الغربية تقع ”سليسيا“ ولما كانت الأقاليم الجرمانية الواقعة على الحدود مجهزة بشبكة من السكك الحديدية الاستراتيجية . فى حين أن بولندا مثل روسيا ، لم يكن لديها الا القليل من وسائل المواصلات ، فان التحالف الجرمانى كانت له ميزة حيوية فى قوة الاحتشاد يقابل بها الزحف الروسى . ولكن اذا انتهج هذا التحالف خطة التعرض فانه كلما توغل فى بولندا أو فى روسيا ضاعت منه هذه الميزة . ومن ثم فان التاريخ يستدل منه على أن أكثر الطرائق الاستراتيجية مغنا لهم هى استدراجهم للروس حتى يتقدموا الى موقع يتخذونه فيقابلونهم فيه بضربة مضادة بدلا من التزامهم هم خطة تعرضية على أن العيب الوحيد هنا هو أن مثل هذه استراتيجية التى لا وثوق بها تتيح للروس الوقت الكافى للاحتشاد ثم تسير ألهم الثقيلة المتعبة التى علاها الصدا .

ومن ذلك نشأ تشعب فى الآراء بين الألمانين والنمساويين . فهم متفقون فى مسألة صد الروسين وتوقيفهم مدة السنة الأسابيع التى كان يأمل الألمان أن يسحقوا فيها فرنسا . وبعد أن يسحقوا فرنسا يحولون قواتهم وينقلونها الى الشرق لتنضم الى النمساويين وتشترك معهم فى القيام بضربة حاسمة ضد الروسين . أما اختلاف الآراء فكان فى طريقة التنفيذ . فالألمانيون كانوا قد عقدوا النية على الحصول على حسم ضد فرنسا وأرادوا أن يتركوا فى الشرق أصغر قوة مستطاعة . ولم يمنعهم من اخلاء بروسيا الشرقية ووقوفهم على خط نهر ”الفيستولا“ إلا بغضهم لسياسة تعريض اراضى الوطن للغزو . أما النمساويون فكانوا تحت تأثير ”كونرادفون هويتسندورف“ رئيس هيئة أركان الحرب العامة ، يريدون أن يخربوا الآلة الروسية بالتهاج

خطة التعرض فورا . ولما كان ذلك يشغل الروسيين ويلهمهم مدة الحصول على الحسم في حملة فرنسا رضى "مولتكه" بهذه الاستراتيجية . أما خطة "كونراد" فكانت تنطوي على القيام بحركات تعرضية نحو الشمال - الشرق في بولندا بجيشين اثنين يحميها جيشان آخران على يمينها وشرقيهما .

وكذلك لدى الفريق الآخر كانت رغبة احدى الحليفتين ذات تأثير حيوى على استراتيجية الأخرى . أما القيادة الروسية فلا أسباب عسكرية وأخرى جنسية (خاصة بأجناس الأقوام) كانت ترغب أن تحشد قوتها ضد النمسا أولا ، حينما تكون النمسا منفردة لا يعصدها أحد ، وتترك ألمانيا وشأنها الآن الى أن تتم تعبئة قوة الجيش الروسى بأكملها . غير أن فرنسا و بين رغبة منهم فى تخفيف الضغط الألمانى عن أنفسهم ، ألحوا على الروس أن يقوموا فى نفس الوقت بهجوم على ألمانيا ، وأرضوا الروس لأن يقوموا بتعرض اضافى ليسوا على استعداد له لا من حيث عدد الجنود المطلوبة ولا من حيث تنظيمها . وفى الجهة الجنوبية الغربية كان عليهم أن يرسلوا زوجين من الجيوش كل زوج منهما يحتوى على جيشين تتلاقى كلهما على القوات النمساوية فى غاليسيا . وفى الجهة الشمالية - الغربية كان عليهم أن يرسلوا جيشين ليلتقيا معا و يطبقا على القوات الألمانية فى بروسيا الشرقية . فالروسيا التى كان بطؤها وسخافة تنظيمها اللذان هما ضرب الأمثال يقضيان عليها بالتهاج استراتيجية قائمة على الحذر والحيلة ، كانت على وشك العدول عن تقاليدها والاندفاع فى اقتراب مباشر مزدوج . ولما نشبت الحرب أسرع الفرانكوف "نيقولاس" ، القائد العام الروسى ، بغزو بروسيا الشرقية تخفيفا للضغط عن حلفائه الفرنسيين . وفى ١٧ أغسطس اجتاز جيش "رننكامف" (المؤلف من ست فرق ونصف فرقة وخمس فرق من الفرسان) الحدود الشرقية لبروسيا الشرقية . وفى يومى ١٩ و ٢٠ أغسطس التقى بالقسم الأعظم من الجيش الثامن الألمانى (سبع فرق وفرقة من الفرسان) تحت قيادة "برويتس" فى "جوميين" و صده الى الوراء . وفى ٢١ أغسطس سمع "برويتس" أن جيش "سمسونوف" (١٠ فرق و ٣ فرق من الفرسان) قد عبر الحدود الجنوبية لبروسيا الشرقية على مؤخرته التى كان يحرسها جند لايزيد على ثلاث فرق . فوقع فى ارتباك جعله يتكلم فى ذلك الحين عن التفهقر الى ماوراء نهر "الفيستولا" وتسبب عن ذلك أن استبدله "مولتكه" بقائد متقاعد هو الجنرال "هندنبورج" ومعه "لودندورف" كرئيس لهيئة أركان الحرب .

فقام "لودندورف" بالبناء والتوسع فى خطة كان وضعها الكلونيل "هوفمان" من أركان حرب الجيش الثامن وبدأها بالحركات اللازمة . وحشد نحو ست فرق أمام جناح "سمسونوف" الأيسر . ولما كانت هذه القوة أقل من قوة الروسيين فما كان ممكنا أن تكون حاسمة . غير أن "لودندورف" لما رأى أن "رننكامف" مازال قريبا من "جوميين" جازف بمجازفة حسب حسابها وسحب بقية الجنود الألمانية الموجودة فى تلك الجهة ولم يبق بها سوى ستار من الفرسان ،

ودفع أولئك الجنود بسرعة لتقابل جناح "سمسونوف" الأيمن . وساعد هذه الحركة الجريئة انعدام المواصلات بين القائدين الروسيين ، والسهولة التي كانت الألمان يفكون بها الغاز الاصطلاحات الروسية اللاسلكية في أوامرهم ، وفهمها . وكانت النتيجة أن سمحت أجنحة "سمسونوف" تحت الضربات التي انصبت عليها من جهات مختلفة ، وأحيط قلبه (أى منتصف جيشه) وأبيد جيشه فعلا . وإذا كانت هذه الفرصة عرضت من تلقاء نفسها ولم يسع أحد لايجادها فان هذه الحملة القصيرة الأجل ، وهى حملة "تانتيرج" يجب أن تعتبر مثالا من صورة الاقتراب غير المباشر المعروف باسم «الخطوط الداخلية» ، بالفا حد الكمال . وبعد ذلك جاء للقائد الألماني فيلقان جديدان من الجبهة الفرنسية فاتجه نحو "رنكامف" الذى كان بطيئا فى حركته . وكان عدم نشاطه يرجع بعضه الى الخسائر التى تكبدها فى "جومينين" وما أعقبها من قلة المعلومات . فطرده من بروسيا الشرقية . وقد خسرت روسيا ربع مليون من الجنود فى هذه المعارك . ومقدارا كبيرا من المواد الحربية التى لا تستغنى عنها . غير أن غزو بروسيا الشرقية كان له أثر فى مساعدة الفرنسيين على «الرجوع الى "المارن"» بسبب ارسال فيلقين من الغرب .

ولكن تأثير "تانتيرج" نقص بسبب ما حصل فى جبهة "غاليسيا" اذ شالت فيها كفة دول الوسط . ثم ان الحركات التعرضية التى قام بها الجيشان النمساويان الأول والرابع فى "بولندا" صادفت تقدما فى بادئ الأمر ولكن ذلك التقدم زال أثره عند ما اندفع الجيشان الروسيان الثالث والثامن هاجمين على الجيشين النمساويين الثانى والثالث اللذين كانا يحرسان الجناح النمساوى الأيمن وهما أضعف من الجيشين الروسيين . فهذين الجيشين صادفا هزيمة شديدة (فى ٢٦ - ٣٠ أغسطس) ورجعا مطرودين من خلال "لمبرج" . وعلى ذلك صار زحف الجناح الأيسر الروسى مهددا لمؤخرة الجناح الأيسر النمساوى المتحصن . وقد حاول "كونراد" أيضا أن يدور قسما من ميسرته ويأتى به مقابل الجناح الروسى . ولكن هذه الضربة اتقيت . وعلى أثر ذلك فاجأه الجناح الأيمن الروسى بزحفه المتجدد فى حين كانت قواته فقدت نظامها الى أن اضطر لأن يخلص نفسه فى ١١ سبتمبر بتقهقر عام ورجع متقهقرا حتى "كراكاو" بوجه التقريب فى آخر سبتمبر . والمأزق الذى تواجدت فيه النمسا اضطر الألمان لأن يمدوها . فشكّلوا جيشا جديدا هو الجيش التاسع من سواد الجنود الموجودة بروسيا الشرقية . وهذا الجيش تحول متجها جنوبا نحو الركن الجنوبي الغربى من "بولندا" ، ومن هناك زحف على "وارسو" (فرسوفيا) بالاشتراك مع النمساويين الذين جددوا حركاتهم التعرضية . على أن الروسيين كانوا اذ ذاك قد أوشكوا أن يبلغوا أقصى درجات قوة تعبتهم . ثم أعادوا ادماج قواتهم الى مجموعات وقاموا بهجوم مضاد فصعدوا الزحف وأرجعوه وأعقبوا ذلك بجهود قوى وجهوه الى غزو "مليسيا" .

فشكل "الغردوق نيقولاس" مجتمعا بلجا مؤلفا من سبعة جيوش — ثلاثة منها في المقدمة واثنتان لوقاية كل جناح من الجناحين . وكان جيش آخر، هو الجيش العاشر، قد غزا الركن الشرقى من بروسيا الشرقية واشتبك في القتال مع القوات الألمانية الضعيفة التي كانت هناك . فلمقابلة هذا الخطر وضعت الجبهة الألمانية الشرقية تحت إدارة الهيئة المكونة من "هندنبورج" — "لودندورف" — "هوفمان" التي ابتكرت ضربة — مقابلة أخرى تشف عن الدراية والمقدرة وكانت قاعدتها مجموعة السكك الحديدية الجانية الموجودة داخل الحدود الألمانية . وتقهر الجيش التاسع أمام زحف الروسيين وأخذ يعرقل سيرهم ويؤخره بانلاف كل ما كان موجودا من وسائل المواصلات الحقيمة في بولندا اتلافا منظما . ولما وصل الى حدود "سليسيا" دون أن يقع عليه ضغط تحول في بادئ الأمر نحو الشمال الى ساحة "بوزن" — "ثورن" . ثم اندفع الى الجنوب الشرقى في ١١ نوفمبر، صاعدا نهر "الفيستولا" على شاطئه الغربى متجها نحو نقطة اتصال الجيشين الروسيين المكثفين بحراسة جناحهم الأيمن . فكان بمثابة السفين الذى يطرق بمطربة ودخل بينهما ففصل أحدهما عن الآخر وأرغم الأول على التقهقر الى "وارسو" (فرسوفيا) . وفعل بالثانى مثل ما حصل فى "تانبج" بوجه التقريب اذ كاد يحصره تماما فى "لودز" . وعندها رجع الجيش الخامس من المقدمة ليخلصه . وكانت النتيجة ان أصاب قسما من القوة الألمانية المحيطة ما كان مقدرا فى الخطة الألمانية أن يصيب الروس ولكنه تمكن من شق طريق له وعاد الى القوة الرئيسية . فاذا كان الألمان قد خاب أملهم فى الحصول على فوز تكتيكى حاسم . فان هذه المناورة كانت مثالا فنيا جديرا بالدراسة . اذ يبين كيف ان قوة صغيرة نسبيا تستطيع أن تشل زحف جيش يفوقها عددا أضعافا مضاعفة ، باستخدام خفة الحركة لاقترباب غير مباشر الى نقطة حيوية . فان الآلة « الكابسة — البخارية » الروسية قد أصابها العطب ، ولم تعد لتهديد الأراضى الألمانية مرة أخرى .

ففى ظرف أسبوع واحد وصلت أربعة فيالق ألمانية جديدة من الجبهة الغربية حيث كان الهجوم على "اير" قد انتهى بالفشل . ومع أنها وصلت بعد فوات الفرصة التى سنحت للحصول على نصر حاسم فان "لودندورف" استطاع أن يستخدمها فى الضغط على الروسيين وارجاعهم الى خط نهر "بوزرا — رافكا" أمام "وارسو" . وهناك استقرت حالة الخنادق فى الشرق كما كانت فى الغرب . ولكنها كانت أقل ثباتا مما فى الغرب وكان الروس قد استنزفوا كل مالىهم من الذخيرة لدرجة عجزت مصانعهم السقيمة عن الاستعاضة عنها بغيرها .

وقصة ماوقع فى الجبهة الشرقية على وجه التحقيق تتلخص فيا نشأ من النزاع بين ارادتي "لودندورف" الذى أراد الوصول الى الحسم باستراتيجية كانت عبارة عن اقتراب غير مباشر من الوجهة الجغرافية على أقل تقدير، "وفالكنهاين" الذى كان يرى أن فى امكانه أن يقتصد فى بذل قوته من جهة . وأن يشوه قوة روسيا التعرضية ويعجزها من جهة أخرى باستراتيجية

تنطوى على اقتراب مباشر . ولما كان "فالكنهاين" فى منصب أسى من "لودندورف" فانه فاز بتنفيذ ارادته ولكن استراتيجيته لم تنجح فى احراز أى غرض من غرضيه . وقد رأى "لودندورف" أن زحف الروس فى فصل الخريف نحو "سليسيا" و "كراكو" قد أوقع جيشهم فى مأزق زاوية "بولندا" الخارجة بدرجة كبيرة . حتى انهم فى الركن الجنوبى - الغربى أطالوا برؤسهم من هذه الشبكة الى داخل الأراضى النمساوية . وفى ذلك الحين نزلت بهم ضربة "لودندورف" فى "لودز" فأصابت جيشهم بالشلل . وفى أثناء المدة التى استعادوا فيها احساسهم وقوتهم كانت أطراف الشبكة المحيطة بهم قد أعيد حبكها وتقويتها . فمن يناير الى أبريل بقى الجسم الروسى يتلوى بشدة وعنف على سفح جبال "الكربات" على غير طائل . بل ان مجهوداته لم تزد الا تغلغلا فى حبال الشبكة . وأراد "هندنبورج" و "لودندورف" و "هوفان" أن ينتهزوا هذه الفرصة للقيام بحركة اقتراب غير مباشرة واسعة النطاق بالانفاز حول الجناح الشمالى قريبا من بحر "البلطيك" من خلال "كوفنو" و "فلنا" نحو مؤخرة الروسين بالتعارض على مواصلاتهم الحديدية القليلة مع زاوية بولندا الخارجة .

غير أن "فالكنهاين" امتنع لسببين : أولا لجرأة هذه الحركة ، وثانيا بسبب ماتتطلبه من بذل جنوده الاحتياطية مع أنه اضطر الى بذل أكثر من ذلك فى طريقته التى اتبعها . فانه لما امتنع ، بعد الاحلاح ، عن محاولة القيام بحركة جديدة يحطم بها حاجز الخنادق فى الغرب ، ولما كان مضطرا لأن يمد حلفاءه النمساويين بجنود احتياطية فانه صمم على استخدام هذه الجنود بدرجة محدودة استراتيجيا وان كانت غير محدودة تكتيكيا فى محاولة تعجيز الروسيا حتى يتسنى له أن يرجع لتجديد حركاته التعرضية فى الغرب دون أن يزغجه شىء .

والخطة التى وضعت للشرق التى اقترحها "كونراد" واتبعها "فالكنهاين" كانت عبارة عن اختراق القلب الروسى فى قطاع "دوناجك" بين جبال "الكربات" ونهر "الفستولا" . وفى ٢ مايو نزلت الضربة . فكانت المفاجأة تامة ، وكان استغلالها سريعا . فلم يحل يوم ١٤ مايو حتى كان كل الخط القائم على طول جبال الكربات قد انطوى وارتد الى الوراء ٨٠ ميلا الى نهر "السان" . وهنا نشاهد مثالا واضحا منيرا للأذهان عن الفرق بين ما يسمى عادة بالمفاجأة وبين الاقتراب غير المباشر . فان المفاجأة قد حصلت من حيث الزمان ، والمكان ، والقوة . ولكن الروسين لم يصبهم أكثر من أنهم تدرجوا الى الوراء كما تدرج كرة من الثلج . واذا كانوا خسروا خسائر فادحة فانهم ارتدوا نحو جنودهم الاحتياطية ومؤنهم وسككهم الحديدية وبذلك وطدوا كرة الثلج وضافوا اليها زيادات حلت محل ما فقد منها . وفضلا عن ذلك فان ضغط هذا الاقتراب المباشر وان كانت شدته قد بلغت درجة الخطر على القيادة الروسية الا أنها لم تكن صدمة مزحزجة .

وهناك ادرك "فالكنهاين" أنه قد ورط نفسه الى حد التوغل في "غاليسيا" لدرجة لا يصح معها الانسحاب ، وأن تعرضه الجزئي لم يوصله الى مكان يأمن الوقوف فيه ، وأن لا أمل له في تنفيذ غرضه الذي يرى اليه وهو نقل الجنود الى فرنسا الا بعد أن يأتي بجنود من فرنسا أكثر مما لديه . ولكنه بالرغم من ذلك اختار مرة أخرى اقترابا يكاد يكون مباشرا . ذلك أنه غير اتجاه الحركات التعرضية ونقله من اتجاه شرق الى اتجاه شمالي — شرق ، وأمر "لودندورف" — الذي كان ينتظر على مضض في بروسيا الشرقية — بأن يساهم في هذه الحركات بأن يضرب نحو الجنوب — الشرق . فاعترض "لودندورف" على ذلك بقوله ان هذه الخطة وان كانت تتطوى على الاطباق على العدو الا أنها هجوم جبهى بدرجة متجاوزة الحد . فان الجناحين قد يضغطان على الروس ولكنهما لا يستطيعان أكثر من ذلك . ثم ألح مرة أخرى في تنفيذ مناورته عن طريق "فلنا" ولكن "فالكنهاين" رفضها مرة أخرى . وقد أثبتت النتيجة صدق نظر "لودندورف" . فان شقي مقص "فالكنهاين" حين انطباقهما لم يحدثا أكثر من دفع الروس الى الوراء وخروجهم من المسافة الواقعة بينهما . وفي آخر سبتمبر كانوا قد ارتدوا واتخذوا خطا طويلا مستقيما بين "ريجا" على بحر "البلطيك" و"شيرنوقس" على حدود رومانيا . ثم انهم وان كانوا قد صاروا لا يهددون ألمانيا مباشرة بعد ذلك مطلقا الا أنهم كلفوها مشقة ومجهودا لا يعوض اذ اضطروها الى ابقاء قوات ألمانية كبيرة أمامهم كما أنهم أبطلوا عمل النمسا أدبيا وماديا .

ولما فرغ "فالكنهاين" من العمليات الواسعة النطاق وتجاوز عنها ، صرح أخيرا "لودندورف" تصریحا في شيء من التردد لأن يحاول القيام بمناورته عن طريق "فلنا" ، بعد أن فات أوانها ، بما لديه من الوسائل الضعيفة . ثم جاء ما وقع فعلا من أن هذه الهجمة الخفيفة المنفردة قد قطعت السكة الحديدية الموصلة من "فلنا" الى "دفينسك" وكادت أن تصل الى سكة "منسك" الحديدية التي هي الخط المركزي لمواصلات الروسين بالرغم من أن الروسين كانت لديهم حرية حشد كل جنودهم الاحتياطية لمقاومتها . جاء ذلك دليلا ضمينا على ما كان ممكنا حصوله لو أنها حصلت من قبل ، بقوة كبيرة حينما كان الجسم الروسي يتخبط في الشرك الذي وقع فيه في "بولندا" .

ثم ان دول الوسط بعد أن انتهت حركاتهم التعرضية في الشرق ، هتت دفاعهم في الغرب ثباتا لا يتزعزع ، انتهزوا فرصة فصل الحريف لاتمام حملتهم في بلاد "الصرب" . وهى الحملة التي كانت اقترابا غير مباشر له غاية محدودة ، بالنسبة للحرب بأجمعها ، ولكنها في دائرتها الخاصة كانت ذات غاية حاسمة . ثم ان مجراها أيضا وان كان الموقف مساعدا له من الوجهتين الجغرافية والسياسية ، فانه يلقي شعاعا من النور على هذه الطريقة . أما الخطة فكانت مؤسسة على دخول "بلغارية" الحرب في جانب دول الوسط . فان الغزو النمساوى الألماني كان

متوقفا بما لقي من المقاومة ، عند ما تحرك البلغاريون غربا الى داخل بلاد الصرب . وحتى حينذاك بقيت مقاومة الصربيين ثابتة ، اذ كانت طبيعة البلاد الجبلية تعاونها الى أن دار الجناح الأيسر البلغاري ودخل القسم الجنوبي من بلاد الصرب بالتعارض على مؤخرتهم فاصلا بينهم وبين الامدادات الفرنسية — البريطانية التي كانت آتية من ”سلانيك“ . وعلى ذلك كان التدهور سريعا ولم يبق من الصربيين الا بقية ضئيلة نجت بنفسها أثناء التفكك ونحو الغرب في منتصف فصل الشتاء مجتازة ألبانيا حتى وصلت ساحل الادرياتيک . فهذا الحشد السريع ضد الشريك الأصغر خلص النمسا من الخطر من هذه الناحية ، وأتاح لألمانيا حرية المواصلات الى أوروبا الوسطى والسيطرة عليها .

أما عمليات سنة ١٩١٦ وسنة ١٩١٧ على الجبهة الروسية فانها لا تستدعي الا القليل من الشرح والتعليق اذ كانت في جوهرها دفاعية في الجانب النمساوي — الألماني ، ومباشرة في الجانب الروسي . أما مغزى العمليات الروسية فهو أنها لا تقتصر على اظهار عقم الاستراتيجية التي تعتمد على مجرد قوة الاندفاع في اقتراب مباشر . بل انها تظهر أيضا ارتداد التأثير الأدبي ورد فعله على متبعتها . فانه حينما جاءت الثورة نذيرا للانهار التام الذي سيصيب مجهود روسيا الحربى ، في سنة ١٩١٧ ، كانت القوات الروسية احسن تسليحا وأكل عددا منها في أى وقت مضى . غير أن الخسائر الجسيمة التي لم تر لها فائدة كانت قد نزعت ارادة القتال من قلوب أولئك الجنود الذين هم أكثر الجنود الأوروبية صبرا وتضحية . وقد شوهد مثل ذلك التأثير أثناء التمرد الذى حصل في الجيش الفرنسى على أثر الحركات التعرضية التي وقعت في ربيع سنة ١٩١٧ فان معظم الثوران حصل حينما أمرت الجنود التي ملت المجازر بالعودة الى الخنادق . والعمليّة الروسية الوحيدة التي كان فيها شيء من الاقتراب غير المباشر في مبدئها هي العمليّة التي قام بها ”بروسيلوف“ في تعرضه بالقرب من ”لوك“ في يونيه سنة ١٩١٥ وكانت كذلك لأن تلك الحركات التعرضية لم تكن بنية جدية . فانها ابتكرت لمجرد تشتيت أفكار العدو وانتهت قبل الألوان تلبية لنداء ايطاليا . فلم يسبقها استعداد أو حشد جنود فكان الزحف الذى حصل عرضا وعلى غير انتظار قد أدى الى انهيار الدفاع الذى كان مستنيا لدرجة أن وقع في الأسر ٢٠٠,٠٠٠ جندي في ظرف ثلاثة أيام . ومن النادر أن يكون لمثل هذه الصدمة الفجائية من النواحي في نتائجها الاستراتيجية مثل ما كان لها . فانها أوقفت هجوم النمسا على ايطاليا ، وأرغمت ”فالكنهاين“ على سحب جنود من الجبهة الغربية . وبذا أبلغته على أن ينتجى عن حملته التي قصد بها الانهالك حول ”فردون“ . ثم حفزت رومانيا على دخول الحرب ضد دول الوسط . وكان من جرائها سقوط ”فالكنهاين“ واستبداله ”بهندنبورج“ و ”لودندورف“ (أما ”هوفمان“ فانه بقى في الشرق وكان غيابه خسارة على رفيقيه) . ولو أن دخول رومانيا الحرب كان الحجة التي اتخذت لاستبداله الا أن السبب الحقيقي هو أن استراتيجيته المباشرة

في سنة ١٩١٥ كانت ضيقة من حيث الغرض والاتجاه فكنت الروس من « العودة » التي أكلت إفساد استراتيجيته سنة ١٩١٦ « أكلتها » فقط لأن ظل الفشل كان قد وقع على التصميم الذي وضع « لفردون » . وهو تصميم قام على المبادئ التي تولدت في القرن التاسع عشر ، فكان أول غرض له هو أقوى جيش لدى الأعداء المتحالفين ، وأقوى نقطة من نقط موقع هذا الجيش .

غير أن حركات « بروسيلوف » التعرضية غير المباشرة وما كان لها من التأثير الجيد لم يستدعى طويلا . فانها أدت بالقيادة الروسية ، بعد فوات الأوان ، أن تلقى بكل ما لديها من القوى في ذلك الاتجاه . ثم انها لم تكن سوى ما يقتضيه القانون الطبيعي للحرب من أن استمرار المجهود على طول خط المقاومة التي تزداد صلابه لا بد له من استخدام كل الجنود الاحتياطية الروسية دون حصول فائدة تعادل ذلك البذل . أما ما أصاب « بروسيلوف » من الخسائر في آخر الأمر وعددها ١,٠٠٠,٠٠٠ فهو وإن كان من الفساحة بمكان إلا أنه كان في الامكان الاستعاضة عنه بجنود تحمل محل تلك الخسائر . ولكننا لما كشفت عن الافلاس العقلي وأظهرته أمام من تبقى من الجنود تسبب عنها افلاس قوة روسيا العسكرية من الوجهة الأدبية .

فاصرار روسيا على تركيز كل أفكارها على هذا المجهود مكن « هندنبورج » و « لودندورف » من القيام « بتغيير سريع آخر » هو اقتراب غير مباشر كالذي حصل ضد بلاد الصرب في سنة ١٩١٥ وقد صار اقترابا استراتيجيا غير مباشر ، على الوجه الأصح ، ويرجع بعض السبب في ذلك الى حكم الظروف . وقد كانت رومانيا المهدف المقصود . وكان لديها في بادئ الأمر ٢٣ فرقة مجهزة بأسلحة وعدد بدرجة متوسطة ، يقابلها سبع فرق . وكانت تأمل أن ضغط « بروسيلوف » ، والبريطانيين الموجودين على نهر « السوم » ، وقوات الحلفاء التي كانت إذ ذاك في سلانيك تحول دون تقوية هذه الفرق السبع . وكل ما يمكن أن يقال هو أن كل هذه القوات كان ضغطها مباشرا فلم يحل دون سحب جنود كافية لسحق رومانيا .

ولما كانت الأراضي الرومانية محصورة بين مقاطعة « ترانسلفانيا » و « بلغاريا » فقد كانت لها موانع طبيعية قوية على كل جنب من جنبها هي جبال « الكريبات » ونهر « الدنوب » ولكن موقعها كان يلائم استراتيجية الاقتراب غير المباشر . وعلاوة على ذلك فإن مقاطعة « دوبروجا » التي هي « فئاؤها الخلفي » وهي شقة مستطيلة على الجانب الآخر من نهر الدنوب بالقرب من البحر الأسود ، كانت طمعا يستطيع خصم ماهر أن ينشب فيها صنارته .

ثم ان رغبتها وتصميمها على اتهاج خطة التعرض نحو الغرب داخل « ترانسلفانيا » جعلها العمل المضاد الذي قام به خصمها ، غير مباشر بدرجة أكثر مما كان في نيته من الأصل ، وأكثر دهاء .

فابتدأ الزحف الرومانى فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩١٦ ، فى ثلاثة قولات رئيسية كل منها مؤلف من نحو أربع فرق تحركت فى اتجاه شمالى — غربى مجتازة ممرات جبال ”الكربات“ مقتربة نحو سهل بلاد المجر اقترابا مباشرا . ثم تركت ثلاث فرق لحراسة نهر الدنوب ، وثلاث أخرى فى ”دوبروجا“ حيث وعد الروس بامدادها . غير أن زحف القوات الرومانية الى داخل ”ترانسلفانيا“ ، الذى كان بطيئا وملازما للخطر قد أعاقه العدو بتدميره كل الجسور (الكبارى) لا بمقاومته . فلم يهدد الفرق النمساوية الخمس الضعيفة التى كانت تستر الحدود ، الى أن جاءها مدد مؤلف من خمس فرق ألمانية وفرنقتين نمساويتين . ولتنفيذ النصف الآخر من الخطة التى كان ”فالكنهاين“ قد وضعها قبل سقوطه وضعت أربع فرق بلغارية ومعها تقوية ألمانية ، وقطار نمساوى من معدات انشاء الجسور ، تحت تصرف ”مكتزن“ على ذمة غزو ”دوبروجا“ .

وبينما كانت القولات الرومانية تتحرك ببطء نحو الغرب داخل ”ترانسلفانيا“ ، اقتحم ”مكتزن“ رأس جسر ”تورتوكايا“ فى ٥ سبتمبر وأباد الثلاث الفرق الرومانية التى كانت حرسا على جبهة نهر ”الدنوب“ . وبعد أن أمن جناحه الواقع الى جهة الدنوب تحرك شرقا متوغلا فى ”دوبروجا“ ، وإن كان مبتعدا عن ”بخارست“ — التى هى خط الانتظار الطبيعى . بغايات هجمة أدبية تدل على الدهاء ، لأن تأثيرها الاستراتيجى (الأوتوماتيكى) ، الذى يحصل من تلقاء نفسه ، هو اجتذاب الجنود الاحتياطية الرومانية التى جعلت لامداد الحركات التعرضية فى ”ترانسلفانيا“ التى فقدت ما كان لها من قوة الحفز .

وهنا قام ”فالكنهاين“ ، الذى تولى القيادة التنفيذية ، بحركات تعرضية مضادة ربما كانت متجاوزة الحد فى درجة اهتمامه بها وفى كونها مباشرة . لأنه وإن كان قد أبدى مهارة فى حشد جنوده ضد القولين ، الجنوبي والوسطى ، واحدا بعد الآخر ، مستخدما لايقاف الآخرين من جنود العدو عددا من الجنود أقل من عددهم وإن لم يكن أقل ما يلزم . اذ كانوا يكادون لا يحتاجون الى من يوقفهم . فان النتيجة كانت صد الرومانيين وارجاعهم ولكن لم يحل بينهم وبين الجبال . وهذا الحادث السىء الطالع جعل كل الخطة الألمانية فى خطر . فان الرومانيين الذين كانت كل الممرات مازالت فى أيديهم استبسلوا وصدوا كل محاولة للنفوذ من الممرات ورائهم بالملاصقة . وقد فشل فى محاولته الأولى للنفوذ من مكان أبعد الى جهة الغرب . ولكنه عاد بفقد مجهوده مع النجاح ونفذ من الجبال قبل نزول ثلوج الشتاء . ثم لما دار نحو الغرب كان قد دخل رومانيا من بابها الأمامى وترتب على ذلك أن صار اقترابه مباشرا . فاضطر لأن يجتاز سلسلة من خطوط الأنهر . ولكن لحسن حظه أنه لما أوقف على طول نهر ”الأنط“ تدخل ”مكتزن“ لأن ”مكتزن“ كان قد حول معظم قوته من ”دوبروجا“ مارا ”بتورتوكايا“ الى ”سستوفو“ حيث عبر نهر ”الدنوب“ قهرا فى ٢٣ نوفمبر .

ومما هو موضوع جدل ومناقشة هو ما اذا كان تركه موقعه القوي على مؤخرة رومانيا قصد تجمع الجيش الرئيسى ، بعد زحفه ، فى اتجاه "بخارست" هو أفضل استراتيجية مثمرة . نعم انها مكنت "فالكنهاين" من عبور نهر "الألط" ، ولكنها مكنت الرومانيين أيضا من استخدام موقعهم « القريب » الوسطى للقيام بانزال ضربة مضادة خطيرة على جناح "مكتزن" كادت تحيط به من جميع الجهات . ولكن بمجرد ما زال الخطر فان الضغط المشترك من كل من "فالكنهاين" و "مكتزن" دفع الجيش الرومانى الى الوراء مجتازا "بخارست" ومنها انسحب الى خط "سيرث" — والبحر الأسود ، فاستولت القيادة الألمانية على القسم الأعظم من رومانيا بما فيها من غلال وزيت . ولكنها لم تقطع على الجيش الرومانى رجعه أو تبديه فكان ذلك باعثا على توطيد قوته المعنوية والعقلية فى مقاومته للرحلة الأخيرة من زحف العدو بدلا من انقاصهما . وفى فصل الصيف التالى قاوم مقاومة مجيدة أحبطت مساعى الألمان لطرده الى ماوراء نهر "البروت" ليكمل لهم احتلال رومانيا . فلم تخضع رومانيا الا فى ديسمبر سنة ١٩١٧ حينما وقعت روسيا البلشفية على شروط الهدنة مع ألمانيا واقتفت رومانيا أثرها بعد أن أصبحت منفصلة

الباب الثالث عشر

المسرح الجنوبي الشرقي - أي مسرح البحر الأبيض المتوسط

المسرح الايطالى - فى سنة ١٩١٧ كانت ايطاليا هى مكان المنظر التمثيلى ، والغرض الذى قصده القيادة الألمانية ، لتمثل لنفسها منه مستودعا أو مخزنا لحاجاتها فى فصل الخريف . وهنا أيضا كان شكل الحدود الطبيعى مما يجعلها مطمعا لاقتراب غير مباشر من الوجهة الجغرافية ولكنها لم تمكن العدو من ذلك . أما هذا العدو فلم يبد أى ميل لمحاولة القيام باقتراب غير مباشر من الوجهة النفسية . فان "فينيزيا" التى هى اقليم الحدود الايطالية عبارة عن زاوية خارجة متجهة نحو بلاد النمسا . ويقع على جانبها الشمالى كل من اقليمى "التيرول" و "الترنتينو" النمساويين . وعلى جانبها الجنوبى بحر الادرياتيک . وتتأخم الادرياتيک شقة من الأرض على جهة نهر "الايرونزو" واطية نسبيا . على أن الحدود فى تلك البقعة تتمشى مع جبال الألب "الجوليانية" و"الكارينكية" ملتفة لفة واسعة ثم الشمال الغربى ويستمر قوسها فى سيره نحو الجنوب الغربى حتى يصل الى بحيرة "جاردا" . ثم ان اتساع كتلة جبال الألب اتساعا عظيما من جهة الشمال وعدم وجود أغراض حيوية فى تلك الجهة لم يشجعا ايطاليا على القيام بحركات تعرضية فى ذلك الاتجاه . ولهذا الأسباب كان لا منفذ لحركاتها التعرضية الا بزحف مباشر الى جهة الشرق نحو بلاد النمسا . فكانت بطبيعة الحال عرضة لتهديد كبير دائم يأتىها من النمسا يتضمن هبوطها من مقاطعة "الترنتينو" على مؤخرة ايطاليا . ولكن لما لم يكن فى وسعها أن تختار طريقا آخر اتخذت هذا الطريق . فتأبرت على الاقتراب المباشر لمدة سنتين ونصف سنة وحينذاك كانت "المعركة الحادية عشر" من معارك "الايرونزو" قد انتهت على غير طائل . فان الجيوش الايطالية لم تكدر زحف الى أبعد من النقطة التى بدأ منها الزحف حتى بلغت خسائرها ١,١٠٠,٠٠٠ جندي فى حين كانت خسائر النمساويين تبلغ نحو ٦٥٠,٠٠٠ وفى كل تلك الأثناء كانت النمسا انتهجت خطة التعرض مرة واحدة . وتلك كانت فى سنة ١٩١٦ حينما أراد "كونراد" أن يحصل على معاونة "فالكنهاين" فى قهر ايطاليا والتغلب عليها بهجوم من "الترنتينو" نحو الجنوب يوجه الى مؤخرة الجيوش الايطالية التى كانت اذ ذاك تقاتل على نهر "الايرونزو" غير أن "فالكنهاين" لعدم وثوقه من خطة الضربات "الحاسمة" ولاصراره على التماهى فى عملية الاتهاك فى "فردون" رفض ذلك حتى انه أبى أن يعير "كونراد" الحد الأدنى من مطالبه وهو تسع فرق ألمانية لتحل محل الفرق النمساوية الموجودة بالجهة الشرقية . ولما لم ينل "كونراد" هذه المساعدة صمم على أن يقوم بهذه المحاولة وحده فأخذ بضعا من خيرة فرقته من الشرق وعرض تلك الجهة لزحف "بروسيلوف" الذى حصل على أثر ذلك ، دون أن تتواجد لديه القوة الكافية لتنفيذ خطته الايطالية . ومع كل فقد كاد هذا الهجوم أن يكمل بالفوز .

وإذا كان لا يمكن القول بأن هذا الهجوم كان على غير خط الانتظار الطبيعي، إلا أنه كان على شيء من عدم التوقع لأن القيادة الإيطالية ما كانت تعتقد أن "كونراد" عنده من القوة والتسهيلات ما يمكنه من القيام بهجوم واسع النطاق. وفي الحق كان هجوما واسع النطاق ولكنه ليس بالانتساع الكافي. فلما اندفع الهجوم أحرز فوزا سريعا في أيامه الأولى. ومع أن "كادورنا" تمكن من سحب جنوده الاحتياطية، في الوقت الملائم، من جبهة "الايوززو" علاوة على كونه قد استعد لنقل مهماته ولوازمه، ومدفعيته الثقيلة من تلك الجهة — فإن المسألة كانت مسألة مسابقة تساوى فيها الطرفان. أما الهجوم النمساوي فكان على وشك النفوذ إلى السهل ولكنه نظرا لعدم وجود جنود احتياطية ضاعت قوته الطاردة. وفي ذلك الحين وقع زحف "بروسيلوف" على الجهة الشرقية فأوقف هذا الهجوم. ولما عنت "لودندورف" بعد ذلك بسبعة عشر شهرا فكرة انزال ضربة مشتركة بإيطاليا نظرا لما بلغت حالة النمسا من الشدة كان الأمل في النجاح أقل مما كان في ذلك الهجوم. لأنه لم يمكنه الاستغناء إلا عن احتياطيه العام الضئيل البالغ قدره ست فرق، وكان حليفه في أشد حالات التعب والاعياء أدبيا وماديا. ونظرا لقلة الوسائل الموجودة كانت الخطة أضيق من السابقة وأكثر منها اقترابا مباشرا — وهي عبارة عن هجوم على الركن الشمالي — الشرق من جبهة "الايوززو" عند منعرجها نحو كتلة جبال الألب. على أن اختيار القطاع الموجه إليه الهجوم وقع بناء على مبدأ كان حديثا في هذه الجهة — إذ كان على خط أقل مقاومة تكتيكية. وكانت الخطة في الأصل ترمي إلى النفوذ من نقطة "كاباريتو" ثم ازاحة جبهة "الايوززو" وطبها لا شيء غير ذلك. ولكنها اتسعت أخيرا في مراميها دون أن تزداد الوسائل. فان مثل "لودندورف" في "كاباريتو"، كمثل البريطانيين في "كمبراي" في ذلك الحريف، كان وضع مثال لذلك الخطأ الاستراتيجي الجسيم وهو عدم "قطع القماش على قدر الثوب". لأنه كان على تقيض "الكهناين" إلى حد التطرف. فهذا كان يقطع قماشه دائما أقل مما يحتاجه ثوبه، مقدرا مقاس الثوب دون الحقيقة. وبعد أن يدرك خطأه يطلب زيادة من القماش ليكبرها الثوب — فيرقعه رقعا لا تفي بالغرض.

ففي يوم ٢٤ أكتوبر اندفع الهجوم الذي كان يشف عن مهارة في اعداده واخفائه ونفذ متوغلا بين جيش "الايوززو" الإيطاليين. وبعد أسبوع من ذلك التاريخ وصل إلى نهر "الطليامنتو"، ولكن بعد أن تمكن الإيطاليون من اخراج أنفسهم من هذا المازق وخلصوا قواتهم التي انفصل بعضها عن بعض، ولو بفقد قسم كبير منها. أصبح استمرار الزحف اقترابا مباشرا صرفا، نحو الغرب ضاغطا الإيطاليين إلى الوراء حتى وصلوا إلى نهر "البياقة" وهو حاجز قوى يلبأون وراءه. وبعد فوات الأوان فكر "لودندورف" في تحويل جنود احتياطية إلى "الترنتينو" ولكن قلة المواصلات الحديدية حالت دون ذلك. وقد حاول جيش "الترنتينو"

عمل ما في امكانه بوسائله الضئيلة ولكن على غير طائل . فان حركته قد زالت عنها صبغة الهجوم الحقيقي الموجه الى المؤخرة . لأن كل الجبهة الايطالية والجنود الاحتياطية قد رجعت الى الوراء حتى كادت تصل الى ”الترنتينو“ .

فقد زالت المفاجأة الأصلية وصار الهجوم النمساوي — الألمانى الآن عبارة عن اطباق على العدو مباشرة من جهات مختلفة كل ما فيه انه أرجع الايطاليين نحو جنودهم الاحتياطية ، ومؤنهم وأراضيهم ، وامدادات حلفائهم . فكانت له النتيجة السلبية التي لا مفر منها . على أن النجاح الذى أحرزه بهذه الوسائل الضئيلة يجعل التفكير في أمر عدم اصغاء ”فالكنهاين“ الى خطة ”كونزاد“ في أوائل سنة ١٩١٦ ، تلك الخطة التي كان أمل النجاح فيها أكثر ضربا من النقد السخري .

مسرح البلقان — قبل أن نعود الى النظر في خطة ”فالكنهاين“ لسنة ١٩١٨ ، من الضروري تصفح بيان الأعمال التي قام بها أعداؤه أو حاولوا القيام بها في بحر الثلاث السنين الماضية خارج حدود الجبهتين الفرنسية والروسية .

فيينا كان كل من مركزى الرياسة الفرنسية والبريطانية في فرنسا ثابت الاعتقاد وانقا كل الوثوق من قوة الاقتراب المباشر ومقدرته ليس فقط على اختراق حاجز الخنادق والنفوذ منه . بل على احراز نصر حاسم ، كانت بعض الدوائر التي كانت إما بعيدة عن جبهة الخنادق وإما قريبة منها يخالجهما شك عظيم في ذلك منذ شهر أكتوبر سنة ١٩١٤ وأصحاب هذه الفكرة الذين أتاح لهم البعد أن يصوروها أمام أنظارهم ليسوا كلهم من الزعماء السياسيين . فمنهم ”غالينى“ في فرنسا ، و”كتشنر“ في انجلترا — وقد كتب في ٧ يناير سنة ١٩١٥ مخاطبا السير ”جون فرنس“ يقول : ”ان الخطوط الألمانية في فرنسا يصح اعتبارها بمثابة قاعدة لا يستطيع الاستيلاء عليها بالافتحام وايضا لا يمكن محاصرتها تماما . فالنتيجة هي أنه يصح مقابلة الخطوط بقوة تحيط بها بينما تأخذ العمليات مجراها في مكان آخر“ .

وتأمل بعضهم خصوصا المستر ”تشرشل“ ، ان حلف الأعداء يجب النظر اليه جملة ، وان التطور الحديث قد غير فكرة المسافة وفكرة قوة خفة الحركة والتنقل ، لدرجة أن الضربة التي تنزل بمسرح آخر من مسارح الحرب قد تعادل الهجوم ”التاريخى“ على الجناح الاستراتيجى للعدو . وهنا تصح الإشارة الى أن مثال نابليون ، وهو الذى كثيرا ما اتخذ حجة للثأيرة على البقاء في الجبهة الغربية يظهر منه أنه يؤيد هذه الفكرة الأخيرة . وفوق ذلك فانه من المسلم أن مثل هذه العملية تلائم الاستراتيجية البرية — البحرية التي هي استراتيجية بريطانيا التقليدية . وتمكن بريطانيا من استغلال المزية الحربية المتوفرة في القوة البحرية التي أهملت حتى ذلك الحين . وفي أكتوبر سنة ١٩١٤ ألح اللورد ”فيشر“ في اتباع خطة لانزال جنود على الساحل الألمانى . وفي يناير

سنة ١٩١٥ أشار اللورد كيتشر بنخطة أخرى لفصل خط مواصلات تركيا الرئيسى نحو الشرق بانزال جنود فى خليج اسكندرونه وقد أبانت ملاحظات كل من "هندنبورج" و "أنور" بعد الحرب كيف كان ذلك يصيب تركيا بالشلل لو أنه حصل . ولكنه ما كان يحدث تأثيرا أعظم على دول الوسط بجملتها ولا يكون اقترابا غير مباشر .

وقد أشار المستر "لويد جورج" بنقل سواد القوات البريطانية الى البلقان بصفتها طريقا موصلا الى "الباب الخلفى" للعدو . ولكن القيادان الفرنسية والبريطانية لوثوقهما من الحصول على حسم سريع فى فرنسا عارضا بشدة اتباع أية استراتيجية أخرى محتجين بصعوبة النقل واستيراد المؤن وبالسهولة التى تلاقىها ألمانيا على رأيهم ، فى تحويل جنودها لمقابلة هذا التهديد . وإذا كان فى معارضتهما شئ من الحقيقة فإن حماسهما أدى بهما الى الغلو والمبالغة . ثم ان معارضتهما كانت أكثر بعدا عن المناسبة فى تطبيقها على النموذج الخاص الذى رسمه "غالينى" لحظة البلقان فانه اقترح انزال جنود الى "سلانيك" كنقطة يبدأ منها السير الى استانبول بجيش قوى بدرجة تشجع بلاد اليونان وبلغاريا على الانضمام اليه . وبعد الاستيلاء على استانبول ترحف القوة صاعدة نهر الدنوب الى بلاد النمسا والمجر بالاشتراك مع الرومانيين . وهذه الخطة كانت فى أساسها مشابهة لما حصل فعلا فى أكتوبر سنة ١٩١٨ ففى شهر سبتمبر من تلك السنة نزع الرأى العسكرى الألمانى الى اعتبار أن مثل هذا الحادث لو حصل فانه "يكون حاسما" وفى أول أسبوع من نوفمبر كان التهديد . وهو ما يزال بعيدا ، عاملا هاما فى تعجيل ألمانيا بالتسليم .

ومع ذلك ففى سنة ١٩١٥ كانت أغلبية الرأى العسكرى تعارض كل الاقتراحات المغايرة لفكرة تركيز المجهود على الجبهة الغربية غير أن التشاؤم لم ينقطع ، وفى ذلك الحين نشأ موقف أعاد الى الحياة خطة الشرق القريب وان كانت فى صورة مصغرة .

فى ٢ يناير سنة ١٩١٥ جاء اللورد "كتشر" استصراخ من الفراندوق "نيقولاس" يطالب اليه القيام بحركة تخفيفية تحوّل أفكار الأتراك فيخف ضغطهم على قوات روسيا فى القوقاز . ولكن كتشر أحس بعدم امكانه إيجاد الجنود اللازمة لذلك فاقترح القيام بمظاهرة بحرية أمام الدردنيل . وزاد "تشرشل" أن اقترح أنه فى حالة عدم امكان تقديم معاونة عسكرية تستبدل المظاهرة البحرية بمحاولة اجتياز الدردنيل غصبا مراعىا فى ذلك النتائج الاستراتيجية والاقتصادية العظيمة . ولم يلق هذا الشروع معارضة من مستشاريه البحريين ، وان كانوا لم يتحمسوا له . وقام الأميرال الموجود بنفس المكان ، وهو "كاردن" بوضع خطة لذلك وأعدت قوة بحرية تألف معظمها من السفن العتيقة المهجورة ، بمساعدة فرنسا ، وبعد ضرب المدافع التمهيدى دخلت هذه القوة البوغاز فى ١٨ مارس . غير أن الأنغام السابحة أغرقت عدة سفن فبطلت المحاولة .

ومما هو موضع جدل ومناقشة هو ما اذا كان استئناف الزحف مرة أخرى قبل فوات الأوان لا يؤدي الى النجاح ، اذ ان ذخيرة الأتراك كانت قد نفذت ، وان في مثل هذه الظروف قد يمكن التغلب على مسألة الألغام . على ان القائد البحري الحديد الأدميرال "دوروبك" استقر رأيه على ألا يقوم بهذا العمل الا اذا وجدت مساعدة عسكرية . وكان مجلس الحرب قد صمم قبل ذلك بشهر على القيام بهجوم مشترك وشرع في ارسال قوة عسكرية تحت قيادة السير "إبان هملتون" . غير أن السلطات حينما اعتمدت على الخطة الجديدة تأخرت في إخلاء الجنود اللازمة لها وحتى بعد ارسالها أقساما لا تفي بالمراد اضطرت لقضاء عدة أسابيع أخرى في مطل — بالاسكندرية — لتوزيع القوة على السفن النقالة بصورة ملائمة للعمل التكتيكي ، وأفطع من ذلك كله أن هذه السياسة المتسككة قد أضاعت فرصة المفاجأة . فلما حصل الضرب (بالمداغ) التمهيدى في فبراير كان لا يوجد بالبوغاز سوى فرقتين تركيتين ، فأصبحت أربع فرق في التاريخ الذى حصل فيه الهجوم البحرى ، وصارت ست فرق عندما تمكن "هملتون" أخيرا من محاولة انزال الجنود الى البر . وفي هذه العملية كانت جنوده لا تزيد على أربع فرق بريطانية وفرقة فرنسية — وهى قوة أقل عددا من قوة العدو ، فعلا ، وفي موقف يتفوق فيه الدفاع على الهجوم بطبيعتهما ، يضاف الى ذلك عامل آخر هو وعورة الأراضى الطبيعية . فاضطر بسبب ضعفه العددى وتحديد مهمته وهى معاونة الأسطول في مروره ، لأن يختار لنزول جنوده الى البر ، شبه جزيرة "غالبولى" مفضلا اياها على نقطة على البر الأصيل أو على الساحل الأسوى .

وفي ٢٥ أبريل وثب وثبته على الطرف الجنوبى من شبه الجزيرة بالقرب من رأس "هليس" وقريبا من "جبهته" أى نحو ١٥ ميلا صعدا على الشاطئ "الايحى" . أما الفرنسيون فلكى يشتتوا أفكار العدو نزلوا الى البر موقفا في "قوم قلعه" على الشاطئ الأسوى . ولكن بمجرد ما ضاعت الميزة الوقتية وهى ميزة المباغتة التكتيكية ، واستطاع الأتراك جلب جنودهم الاحتياطية ، لم يتمكن الغزاة من توسيع موطنى أقدامهم الركيكين .

وأخيرا استقر رأى الحكومة البريطانية في يولييه على ارسال خمس فرق أخرى لتقوية السبع الموجودة في شبه الجزيرة . ولما وصلت كانت قوة الأتراك في تلك الجهة قد ازدادت هى ايضا حتى صارت ١٥ فرقة . فصمم "هملتون" على انزال ضربة مزدوجة — ضربة معززة من جبهته وانزال جنود جديدة في خليج (شرم) "سوفلا" على بعد بضعة أميال شمالا — ليفصل منتصف شبه الجزيرة ويستولى على المرتفعات الحاكمة على المضائق . وهذه الهجمة وان كانت تظهر انها مباشرة أكثر مما اذا كان انزال الجنود في "بولايير" أو على الشاطئ الأسوى ، الا أن الذى يبررها هو أنها على خط لم تتوقعه قيادة العدو التى كانت جنودها الاحتياطية محتشدة في النقط الأخرى . فلم يسد الطريق أمامها سوى أورطة ونصف أورطة

من الأتراك مدة ٣٦ ساعة قبل وصول الاحتياطي . وقد ضاع هذا الوقت وأفلتت تلك الفرصة بسبب عدم خبرة الجنود التي نزلت الى البر وجمود القادة الموجودين معهم . ثم جاء التوقف ، وخيبة الأمل ، ومعارضة الذين كانوا دائماً ضد هذا المشروع فكانت سبباً للاسراع بالهلاء عن شبه الجزيرة . والحكم الذي أصدره "فالكينهاين" في خطة الدردنيل هو : "لو لم تقفل البواغيزين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود قفلاً دائماً أمام دول الائتلاف لنقص الأمل في مجرى الحرب مع النجاح نقصاً في غاية الأهمية . فكانت روسيا تتخلص من عزلتها ذات المغزى ، التي هي ضمان آمن من الفوز العسكري ، فانه طال الزمن أو قصر لابد من أن يأتي وقت تصبح فيه قوات هذا الجبار كسيحة مقعدة ، من تلقاء نفسها " فالخطأ ليس في الفكرة بل هو في تنفيذها . فلو أن البريطانيين استخدموا من بادئ الأمر حتى ولو مقداراً من الجنود بنسبة معتدلة لعدد الجنود التي بذلوها في نهاية الأمر وهي تتوارد قسمياً قسمياً ، فإن من الين من شهادة قادة العدو أن عملهم كان يكمل بالنجاح . وحركة الدردنيل وإن كانت اقتراباً مباشراً بالنسبة لتركيا . فلها كانت اقتراباً غير مباشر بالنسبة لجيوش تركيا الرئيسية التي كانت اذ ذاك تقاتل في القوقاز ، وفي المستوى الأعلى كانت اقتراباً غير مباشر بالنسبة لدول الوسط بجملتها . وبالمقارنة بين فكرة الدردنيل ، والأمانى العقيمة المظلمة التي وضعت في فرنسا وهي التي لم تلق عليها التجارب التاريخية شعاع واحد من الأمل ، يظهر أن فكرة الدردنيل قد أوفت قانون التوفيق بين الغاية والوسائل حقها ، بقدر ما كان تنفيذها مخالفاً لهذا القانون .

مسرحا فلسطين والعراق — ان تجريدات الشرق الأوسط لانكاد تدخل تحت نطاق هذه المطالعات . فهي من الوجهة الاستراتيجية كانت أكثر بعداً مما يجعل لها أى أمل في أن تكون ذات تأثير حاسم ، من جهة ، وبصفتها حركات تخفيفية تحول أفكار العدو نحوها قد استدعت قوات من البريطانيين أعظم بكثير مما استوقفت من قوات العدو ، من جهة أخرى .

أما في دائرة السياسة ففي الامكان وضع قضية . فان بريطانيا كانت دائماً تتمتع بالرخاء الكثير يجبرها المغانم من بلاد العدو (تلتقط البرقوق من بستان العدو) وليس ذلك فحسب ، بل انها كانت تمنع الخطر عن حلفائها وتستعيض عن خسائرهم بما تجره من تلك المغانم . بينما يقوم النضال بين القوات الرئيسية للحلفاء والعدو فتترك كل منهما قوى الأخرى بحنا وراء باب الخروج منه . وفي حالة انتهاء النضال الرئيسى الى نتيجة غير مرضية كانت تبقى لديها المغانم (البرقوق) لتساوم عليها . أما اذا جاءت النتيجة على ما تشتهى فكانت تأخذ ما غنمته وينتهى الأمر . وعلى ذلك فهناك سبب ، على الأقل ، للبحث فيما اذا كانت هذه السياسة غير العسكرية لا تستحق أن تتطور حتى تصير نظرية من نظريات الاستراتيجية العظمى يسترشد بها البريطانيون .

على أن الاستراتيجية المحلية لتجريدة فلسطين جديرة بالدراسة . فهي في بادئ الأمر كانت جامعة بين عيوب كل من الاقتراب المباشر والاقتراب غير المباشر . اذ اتبعت خط الانتظار الطبيعي الذي كان من جهة أخرى أطول وأشق طريق للدوران الى أية نقطة حيوية عند الدولة التركية . وبعد الفشل الذي صادفته للرتين الأوليين في ”غزة“ التي كانت تحرس طريق الاقتراب المباشر الساحلى من مصر الى فلسطين ، استخدمت في شهرى مارس وأبريل سنة ١٩١٧ الجنود التي زاد عددها وكانت معدة لفصل الخريف ، في محاولة أقل مباشرة من سابقتها . فالخطة التي رسمها ”تستود“ واتبعها ”ألنبي“ بعد حلوله محل ”مرى“ في القيادة كانت في الحقيقة غير مباشرة من الوجهة الجغرافية بحسب ما سمحت به موارد المياه وضيق الدرب بين البحر والصحراء . أما دفاعات الأتراك ومعاقلهم فكانت ممتدة الى مسافة نحو ٢٠ ميلا من ”غزة“ الى الداخل في حين أن وراءها على مسافة عشرة أميال تقع ”يرشبا“ التي هي النقطة الخارجية التي تحرس الحافة الشرقية للساحة التي يمكن الاقتراب منها . ثم ان التكتّم والحيلة وجهتا انتباه الأتراك نحو ”غزة“ وبعدها حصل الاستيلاء على ”يرشبا“ وما بها من المياه بالانقضاء على جانبها الذي لا حماية له بحركة سريعة في نطاق واسع . والذي يلي ذلك في الخطة ضربة موجهة الى جناح الموقع التركي الرئيسى يسبقها هجوم على غزة يقصد منه تحويل انتباه العدو اليها . بينما يقوم الفرسان من ”يرشبا“ بحركة كاسحة تدور الى مؤخرة الأتراك غير أن صعوبات الحصول على المياه وضربة مضادة قام بها الأتراك شمالى ”يرشبا“ عرقلتا هذه المناورة ومع أن جهة الأتراك اختارت لم تحصل نتائج حاسمة . ثم ان قوات الأتراك ارتدت ورجعت الى الورا أخيرا حتى تجاوزت القدس ولكن رجعتها لم تقطع عليها كما كان في النية .

فأرجئ الحسم ومحاولة الوصول اليه لمدة سنة — حتى سبتمبر سنة ١٩١٨ . وفي نفس الوقت قامت حملة حربية في الصحراء غربية في بابها شرقا ، وجنوبا ، لم تقتصر على اضعاف قوة تركيا الحربية ، بل ألقت ضوءا جديدا على الاستراتيجية وخصوصا على الاقتراب غير المباشر هذه الحملة هي حملة ثورة العرب التي كان ”لورنس“ رأسها المرشد . فهي وإن كانت من نوع حرب العصابات التي هي بطبيعتها اقتراب غير مباشر ، الا أن استراتيجيتها كانت قائمة على أساس حسابى علمى يجب علينا ألا تغفل تأثيره على الحروب العادية ، فمن المسلم أنها صورة متطرفة من الاقتراب غير المباشر ثم انها كانت ذات أثر فعال في منتهى الاقتصاد في حدود قوتها . فالعرب أخف حركة من الجيوش النظامية وأقل منها تمحلا للخسائر . أما الأتراك فكانوا يكادون لا يبالون بما يصيبهم من الخسائر في الرجال . أما خسائر المواد فكانوا يتأثرون لها — نظرا لقلتها عندهم . فهم من أنخر الجنود متى استقروا في خنادق يطلقون منها النار على هدف

متقدم اليهم ولكنهم لا يصلحون للعمليات الطائرة التي لا تثبت في مكان ولا يتحملونها وكانوا يحاولون المحافظة على ساحة شاسعة من الأراضي في حين أن عددهم لا يكفي للانتشار عليها في نقط موضوعة على صورة شبكة . كما كانوا يعتمدون في مواصلاتهم على خط طويل وضعيف .

ولهذه الظروف تطورت استراتيجية على تقيض الأصول المرعية . فبينما الجيوش العادية تسعى للمحافظة على اتصال أجزائها بعضها ببعض ، الا اذا قادها نابليون مثلا ، كانت العربان تسعى لاجتناب الانضمام . وفي الحين الذي تسعى فيه الجيوش العادية لاتلاف القوات التي تناوئها يسمى العربان لاتلاف المواد لاغير ، ويسعون لذلك في النقط التي لا توجد بها قوة . بل يذهبون الى أبعد من ذلك . فبدلا من أن يجتهدوا لأن يطردوا العدو بأن يحولوا بينه وبين مؤنه ، كانوا يرمون الى ابقائه حيث هو بأن يسمحوا بوصول قسم من مؤنثته اليه حتى انه كلما طال أمد بقاءه ازداد ضعفا وخارت عزيمته . فان الضربات قد تحضه على الاحتشاد تسهلا لمسألتي مؤنه وسلامته . أما ونحز الابر فيبقىه مشتتا . ومع ذلك فان هذه الاستراتيجية مع كل ما فيها من الشذوذ لم تؤد الى غايتها المنطقية التي هي اتباع خط أقل درجات المقاومة . وكما قال مبتكرها ” لم يسع الجيش العربي مطلقا لأن يحافظ على ميزة أو أن يزيدها . بل كان ينقل وينزل ضربته مرة أخرى في مكان آخر . فكان يستخدم أقل قوة في أسرع وقت وأبعد مكان لأن استمراره في القتال حتى يغير العدو أوضاعه لكي يقاومه فيه اخلال بالقاعدة الأساسية التي هي حرمان العدو من هدف يصبو اليه ضرباته “ .

اذن ماهذه الاستراتيجية ان لم تكن هي نفس الاستراتيجية التي تطورت في سنة ١٩١٨ على الجبهة الغربية ؟ انها هي ذاتها في جوهرها ولكنها تمدت الى درجة أبعد . أما تطبيقها على مسألة الحروب العادية فانه يتوقف على عوامل الزمن ، والمسافة ، والقوة . فبينما هي صورة من صور الحصر سريعة ونشيطة اذ هي بطبيعتها أبطأ في احداث تأثيرها من استراتيجية الحسم ومن ثم اذا كانت الظروف القومية تجعل الحسم أمرا لا بد منه فالظاهر أن استراتيجية الحسم هي الأفضل . ولكن ما لم يكن السعى وراء الغاية باقتراب غير مباشر فالتوقع أن الأخيرة تكون أبطأ ، وأكثر كلفة ، وأشد خطرا من استراتيجية ” لورنس “ ثم ان ضيق المكان وغزارة القوة هما أيضا عائقان ، وان كان عدم التغلب عليهما من الأمور النادرة . فالقرار الصائب هو أنه في الحروب العادية تختار صورة الاقتراب غير المباشر الذي يرمى الى سرعة الحسم ” بنصب شرك “ للعدو ، متى قوى الأمل بنجاحه . وبخلاف ذلك ، أو بعد فشله ، فان الخيرة يجب أن تقع على صورة الاقتراب غير المباشر الذي يرمى الى الحصول على الحسم في آخر الأمر بتقويض قوة العدو واراادته . فان كل شيء أفضل من الاقتراب المباشر .

ولم تتع الفرصة لأكال استراتيجية الثورة العربية الى نهايتها . ففي سبتمبر سنة ١٩١٨ بعد أن أضعفت القوات التركية التي كانت على خط المجاز حتى صيرتها في حالة شلل يرثى لها غلبت القوات التركية الرئيسية بفلسطين بضربة واحدة حاسمة . ومع ذلك ففي هذه الضربة التي أنزلها اللنبي لعبت القوات العربية دورا هو على الأقل جدير بالذكر .

أما فما يختص بنوع العمليات الختامية في فلسطين وهل هي حملة حربية ، أم معركة أمها التعقب فذلك ما لا يمكن الحكم فيه . لأنها ابتدأت والقوى متماصة وتم النصر قبل أن ينقسم التماس . ولذا فالظاهر انها تقع في فئة المعارك . غير أن احراز النصر كان بوسائل استراتيجية بصفة رئيسية ، ولم يكن نصيب القتال فيها مما يستحق الذكر .

وقد أدى ذلك الى الخط من قيمة النتيجة خصوصا بين الذين يقدرون القيمة بحسب عقيدة "كلاوزيفتر" أي ان الدم هو ثمن النصر . واذا كان "اللنبي" قد تفوق على خصمه في الرجال بنسبة أكثر من اثنين الى واحد ، وأقل من ذلك في المدافع . فان الفرق الذي كان في جانبه لم يكن بالدرجة التي كانت في الأصل حينما بدأ الزحف البريطاني الى فلسطين وهو الذي انتهى الى الفشل . وكثيرا ما أخفقت الحركات التعرضية في الحرب العالمية وقبلها وكان التفوق في القوة في جانبها مثل هذا التفوق .

وهناك "حط من القيمة" أكثر أهمية من السالف . سببه أن قوة الأتراك المعنوية كانت قد انحطت . ولكن بعد مراعاة كل شيء في ظروف شهر سبتمبر سنة ١٩١٨ التي كانت توجب الرضاء ، فان هذه العمليات جديرة بأن تسطرين الأعمال المجيدة التي سطرها التاريخ من حيث اتساع دائرة مرمى النظر ، والمعالجة . واذا كان الموضوع في حد ذاته ليس صعبا فان الصورة التي رسمت تكاد تكون وحيدة في نوعها بصفقتها ابتكارا بلغ حد الكمال ونفذ على أكمل وجه ولو في جملته .

فقد جاءت الخطة مطابقة بدرجة عظيمة لتعريف "ويلسون" عن الاستراتيجية وهو أنها "دراسة المواصلات" وللقول المأثور عن نابليون وهو : "ان كل سرفن الحرب هو في أن يجعل الانسان نفسه سيدا على المواصلات" لأنها (أي الخطة) كانت ترمى الى جعل البريطاني سيدا على كل المواصلات التركية في كل صورها . فان قطع خطوط مواصلات الجيش معناه اصابة تنظيمه المادي بالشلل ، وسد خط رجعتة معناه اصابة تنظيمه المعنوي (الأدبي) بالشلل . و"تلاف خطوط" مواصلاته الداخلية التي تمر منها الأوامر والأخبار (التقارير) معناه اصابة تنظيمه الحسي بالشلل ، وهو الاتصال الجوهرى بين المخ والجسم . وهذا الشق الثالث سعت له القوة الجوية وأحرزته . فقد طردت طائرات العدو من الجو فصيرت قيادته عمياء . ثم ألقت قنابلها على المركز الرئيسى لخبراتها التفرافية والتليفونية فصيرتها صماء

بكاء . وقد جاء الطور الثاني في هذا القتال على أثر قطع العرب للسكة الحديدية الرئيسية في "درعا" فكان لهذا القطع تأثير مادي هو منع تدفق المؤن التركية مؤقتا - والمنع المؤقت كان كل ما يهيم في ذلك الحين - وتأثير عقلي هو حرض القيادة التركية على ارسال جزء من جنودها الاحتياطية الضئيلة الى هناك قبيل حرمانها من قوة السيطرة عليها .

فان ما يسمونه الثلاثة "الجيش" التركية كانت تعتمد على شريان واحد للواصلات هو خط حديدى مفرد من دمشق يفترق في "درعا" فيمتد خط منه جنوبا الى الحجاز ويتجه الآخر غربا عبر نهر "الأردن" الى "الأفولة" وهناك يشعب منه فرع نحو البحر فيصل الى حيفا وآخر نحو الجنوب مرة أخرى حتى رأس الخط الحديدى الخاص بالجيشين التركيين السابع والثامن . أما الجيش الرابع الموجود شرق نهر "الأردن" فكان يعتمد على فرع الحجاز . والاستيلاء على "الأفولة" وعلى معبر "الأردن" في "بيسان" يقطع مواصلات الجيشين السابع والثامن كما يسد خطى رجعتهما فيما عدا المنفذ الوعر المؤدى الى الجزء الخراب الواقع شرق "الأردن" والاستيلاء على "درعا" يقطع مواصلات كل الثلاثة الجيوش ، وأحسن خط لرجعة الجيش الرابع .

أما "درعا" فكانت بعيدة عن متناول الجبهة البريطانية وكان ذلك في وقت قصير لدرجة تجعل لقصره تأثيرا هاما على النتيجة . ولحسن الحظ ظهر العربان من جوف الصحراء كما تظهر الأشباح الخيالية واشين على كل خطوطها الحديدية الثلاثة فقطعوها . غير ان لا طبيعة التكتيكات العربية ، ولا طبيعة البلاد ، ولا طبيعة "درعا" كانت مما يساعد على اقامة حاجز استراتيجى عبر مؤخرة الأتراك . وبما أن النبي كان يسعى للحصول على حسم سريع تام كان لا بد له أن يبحث عن مكان أقرب لاقامة مثل هذا الحاجز . مكان يمكن الانتفاع فيه بنهر "الأردن" وسلسلة الجبال الواقعة غربيه للحيولة دون خروج الأتراك منه . وكانت محطة اتصال السكة الحديدية الموجودة في "الأفولة" وجسر (كوبرى) نهر "الأردن" الموجود بالقرب من "بيسان" كلاهما على مسافة نصف قطر دائرة طوله ٦٠ ميلا ، ومن ثم في نطاق "وشبة" استراتيجية تقوم بها السيارات المدرعة والفرسان على شريطة الوصول الى هاتين النقطتين الحيوتين دون عائق . فكانت المسألة والحالة هذه هي ايجاد خط اقتراب يصعب على العدو اقامة المراقيل فيه في الوقت الملائم . ثم التأكد من ذلك . فعلى أى صورة حلت هذه المسألة ؟ كان سهل "شارون" الساحلى المسطح بمثابة ردهة أمامية لسهل "ازدرالون" وادى "جزريل" حيث تقع كل من "الأفولة" و"بيسان" وهذه الردهة لا عائق فيها سوى باب واحد يقع بعيدا الى الوراء لدرجة أنه ترك من غير حراسة وهو مكون من المنطقة الجبلية الضيقة التى تفصل سهل "شارون" الساحلى من سهل "ازدرالون" الداخلى . غير أن المدخل الموصل الى الردهة الأمامية قد أغلقه الأتراك وأصدوه بمتاريسهم .

وهنا ثابر "الذئبي" في "استعداداته النفسية" مدة طويلة مثابرة حلت فيها الحيلة والخدعة محل القنابل الى أن حول انتباه الأتراك عن الساحل الى جناح نهر "الأردن" والذي ساعده على ذلك هو اخفاق المحاويلين السابقين للزحف شرق "الأردن" في فصل الربيع . وفي سبتمبر بينما كان انتباه الأتراك ما زال موجهها نحو الشرق ، ركزت جنود "الذئبي" تنقل سرا نحو الغرب حتى ازدادت نسبة تفوقهم عددا على العدو في القطاع القريب من الساحل من اثنين الى واحد الى أن صارت خمسة الى واحد . وفي ١٩ سبتمبر زحف المشاة بعد أن استمر ضرب المدافع بدرجة شديدة لمدة ربع ساعة واكتسحت متاريس الأتراك التي كانت على مجموعتين بسيطتين . ثم دارت دورة الى الداخل كما يدور باب مهول على مصلاته . واندفع الفرسان من الباب المفتوح موالين الضغط وساروا في الردهة تتقدمهم سياراتهم المدرعة فاستولوا على الممرات الموصلة الى سهل "إزدرالون" . وهذا المرور الموفق مدين في نجاحه بشيء كثير لما قامت به القوة الجوية من جعل قيادة العدو صماء ، بكاء ، عمياء . وفي اليوم التالي أقيم الحاجز الاستراتيجي عبر مؤخرة الأتراك . والمنفذ الوحيد الذي تبقى لهم هو نحو الشرق فوق نهر الأردن . وكان في امكانهم الوصول اليه لولا القوة الجوية ، إذ أن زحف المشاة المباشر كان بطيئا أمام المقاومة العنيفة التي قامت بها مخافر الأتراك الخلفية . وفي الصباح المبكر من يوم ٢١ سبتمبر تعرفت الطائرات البريطانية على قول عظيم — هو في الواقع جميع من بقوا على قيد الحياة من الجيشين التركيين — يسير في ليات الوهد العميق الموصل من "نابلس" الى نهر "الأردن" . فهاجمته لمدة أربع ساعات صار بعدها هذا الموكب هامدا جامدا . ومن تلك اللحظة يصبح القول بانعدام « الجيشين » السابع والثامن . أما ما حصل بعد ذلك فلم يزد عن مطاردة قطيع من الماشية .

وأما في شرق "الأردن" حيث لا استطاع إقامة حاجز استراتيجي فقد كان مصير « الجيش » الرابع الى الانهك السريع تحت ونز الابر المستديم دلا من الاجهاز عليه اجهازا بالمعنى الصحيح . وأعقب ذلك الاستيلاء على دمشق . وعندها استغل النصر بالزحف الى "حلب" وما كادت الجنود تصل اليها حتى سلمت تركيا مدفوعة بعامل التهديد القريب الواقع عليها بانهايار بلغاريا ، وباقتراب "ملن" من سلايك الى استانبول ومؤخرتها .

والذي يلاحظه من يحلل هذا النصر الحاسم الذي أحرز في فلسطين هو أن الأتراك كان ما يزال في طاقتهم أن يعوقوا مشاة البريطانيين ويوقفوهم الى أن علموا بالحاجز الاستراتيجي الذي أقيم على مؤخرتهم فأحدث ذلك التأثير الأدبي الذي لا بد منه ولا معدى عنه . ويلاحظ أيضا أنه بسبب وجود حالة حرب الخادق من بادئ الأمر كان لا بد من أن يقوم المشاة بتحطيم هذا الرتاج . ولكن بمجرد إعادة الحرب الى حالتها المعتادة أمكن أحرار النصر بالعناصر الخفيفة

الحركة التي لم تكن الاجزاء من مجموع القوة . فالدهاء الذي اتصف به هذا المثال الخاص من الاقتراب غير المباشر كان قاصرا على التمهيد . أما تنفيذه فكان متوقفا على مجرد تطبيق خفة الحركة التي من شأنها أن تزعج العدو وتدمر قوته المعنوية . ولما كانت هذه الخفة بدرجة متطرفة فقد جاءت مفاجئة من أول الأمر الى آخره .

وهناك مسرح آخر في الجنوب الشرقى يحتاج الى ملاحظة عارضية — ذلك هو مسرح سلانيك . فان ارسال جنود الحلفاء اليه نشأ عن محاولة غير مثمرة تأخرت عن أوانها هي محاولة ارسال مدد الى بلاد الصرب في خريف سنة ١٩١٥ وبعد ذلك بثلاثة أعوام كانت سلانيك منشأ حركات تعرضية كانت لها نتائج حيوية . غير أنه لما كان الاحتفاظ بموطئ قدم في البلقان أمرا ضروريا في كل هذه الفترة لأسباب سياسية ، وأخرى تستند الى استراتيجية في دائرة الاحتمال ، فان الأمر الذي هو موضع الشك هو الحكمة في حجز عدد كبير من الجنود كهذا العدد الذي بلغ أخيرا نصف مليون وضرورة إبقائه محجوزا كل هذه المدة في مكان سماه الألمان من باب السخرية « أكبر معسكر للاعتقال » أى أكبر معتقل للجنود .

الباب الرابع عشر

استراتيجية سنة ١٩١٨

تتوقف أية دراسة لمجرى الشؤون العسكرية في السنة النهائية على فهم الموقف البحري السابق لها ، فكل منهما مرتبط بالآخر . لأنه لما لم يحصل حسم عسكري مبكر ، أخذ الحصر البحري يتحكم في الموقف العسكري تحكما صار يزداد على توالى الأيام .

وفي الواقع فان مؤرخ المستقبل اذا اضطر لأن يختار يوما ليعتبره اليوم الحاسم للحرب العالمية فمن المحتمل أنه يختار اليوم الثاني من شهر أغسطس سنة ١٩١٤ — قبل أن تبتدئ الحرب من ناحية إنجلترا — حينما أرسل المستر " ونستون تشارتشل " أمره في الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والعشرين صباحا ، بتعبئة البحرية البريطانية . فهذه البحرية لم تكن لترجح معركة " طرفلجار " (الطرف الأغر) مرة ثانية ، ولكن كان مقدارا لها أن تعمل أكثر من أى عامل آخر لكسب الحرب بجانب الحلفاء . لأن البحرية كانت آلة الحصر البحري . وكلما زالت غيوم الحرب وانقضت في ضوء هذه السنين التي أعقبت الحرب وانكشفت غيومها كلما تبين أن الحصر البحري كان له أثر أخذ يزداد شيئا فشيئا . ويتضح ببلاء أنه كان العامل الحاسم في النضال . فشله كمثل ذلك « القميص » الذي كانوا يستعملونه في سجون أمريكا لتأديب شرسي الأخلاق من المسجونين اذ كان يزداد ضيقه تدريجيا فيبدأ بالضيق على حركات السجين ، ثم يخذ انفاسه . في حين انه كلما زاد ضيقا و طال بقاء ذلك الضيق نقصت قوة مقاومة السجين وزادت قوته المعنوية خورا لشعوره بالضغط .

والعجز يستجلب العجز ، ويشهد التاريخ أن فقدان الأمل لا فقد الأرواح هو العامل الحاسم في نتيجة الحرب . وليس من المؤرخين من لا يقدر التأثير المباشر الذي أحدثته شبه المجاعة بين الشعب الألماني تمام التقدير ، وتسبب عنه انهيار « الجبهة — الوطنية » . ثم لندع جانبا مسألة ما كان للثورة من الأثر في الهزيمة العسكرية ، بدلا من العكس . فان عامل الحصر البحري وهو العامل الذي لا يمكن أن يمس والذي ساد على كل شيء كان له أثره في الموقف العسكري من حيث أى اعتبار كان .

فالواقع هو أن التهديد الذي أصبح حصوله في دائرة الامكان من جراء الحصر البحري ، ومن المحتمل أنه لم يكن تأثيره نفسه ، هو الذي أرغم ألمانيا على القيام بحملة الغواصات لأول مرة في فبراير سنة ١٩١٥ وهي التي حفزت بريطانيا الى اطلاق « تصريح لندن » من عقاله لزيادة تضيق الحصر البحري — مطالبة بحقوقها في التعرض لكل السفن المشتبه بأنها تحمل بضائع لألمانيا وتفتيشها — ولكن ألمانيا بنسفها السفينة « لوزيتانيا » بالطور بيد هيئات للولايات

المتحدة سببا دافعا لها لدخول الحرب، وإن كان ذلك السبب جاء متأخرا . فضلا عن أنه كان مزبلا لما كان من الاحتكاك بين بريطانيا والولايات المتحدة من جراء زيادة تضيق الحصر البحري . وبعد ذلك بسنتين كان الضيق الاقتصادي المتسبب عن الحصر البحري باعثا على مصادقة قادة ألمانيا العسكريين على تجديد حملة الغواصات « من غير حد » تجديدا في غاية الشدة . وكان اعتماد بريطانيا في تموين شعبها واعاشة جيوشها على مايرد إليها عن طريق البحار نقطة ضعيفة في درعها الواقى . ثم ان تأثير الغواصات الذى هو بطبيعته أسرع من غيره في تنفيذ الحصر البحرى قوى حجة القائلين بأن هذا الاقتراب غير المباشر القائم على الاستراتيجية العظمى ستكون ضربته مميته . وإذا كان هذا الحساب قد ظهر خطؤه فان بريطانيا كانت على وشك أن تثبت صحته . فقد ازدادت الخسائر فى السفن من ٥٠٠,٠٠٠ طن فى شهر فبراير الى ٨٧٥,٠٠٠ فى أبريل . ولما اتخذت التدابير المضادة مضافا إليها قلة موارد ألمانيا فى الغواصات وعدم كفايتها فأنقصت هذا المقدار تدريجيا، كان الموجود من الأطعمة لدى بريطانيا لا يكفى لتكوين أهلها إلا لمدة ستة أسابيع أخرى .

فان آمال قادة ألمانيا فى الحصول على حسم اقتصادى كان لها رد فعل على خوفهم من الانهيار الاقتصادى وأدت بهم الى افتتاح حملة الغواصات مدركين كل الادراك ما فى ذلك من المجازفة باستجلاب الولايات المتحدة لدخول الحرب ضدهم راضين به كأمر يكاد يكون محققا . وهذه المجازفة أصبحت حقيقة فى ٦ أبريل سنة ١٩١٧ ، ومع أن قوة أمريكا العسكرية كانت تحتاج الى وقت طويل تنهيا فيه ، كما حسب الألمان ، فان دخولها الحرب كان له تأثير سريع فى زيادة وطأة الحصر البحرى . فلما أصبحت الولايات المتحدة شريكة فى الحرب تناولت هذا السلاح الاقتصادى واستعملته بعزيمة صادقة ضاربة صفحا عن تبقى محايدا من الدول ، وفاق أشد مزاعم بريطانيا جرأة فى محاولات السنين الماضية فيما يختص بحقوق المحايدين . ومن ذلك الوقت لم يلق الحصر البحرى عائقا من معارضة المحايدين . بل على العكس فان تعاون أمريكا حوله الى تضيق خانق رزحت تحته ألمانيا فأخذ يستنزف صلابتها حتى تراخت أعصابها ، بما أن القوة الحربية تقوم على أساس الجلد الاقتصادى — وهى حقيقة كثيرا ما أغفلت . والحصر البحرى قد يدخل فى فئة الاستراتيجية العظمى القائمة على الاقتراب غير المباشر والتي لا تستطاع مقاومتها مقاومة مثمرة . وهى من طراز لا مجازفة فيه الا من حيث ببطء تأثيره . ومع ذلك فان تأثيره يطابق قانون القوة الطاردة التى تنزع الى ازدياد السرعة كلما استمرت . وفى نهاية سنة ١٩١٧ أحست به دول الوسط بدرجة شديدة . وهذا الضغط الاقتصادى هو الذى استدرج ، بل اضطر ، ألمانيا الى القيام بالحركات التعرضية فى سنة ١٩١٨ التى مجرد ما فشلت أصبحت انتحارا . فلما لم تتح لها حركة جديدة لعتمد الصلح لم يبق لها خيار بينها وبين الضعف البطىء يستولى عليها الى أن ينتهى بانهارها .

فلو أنها عقب معركة "المارن" في سنة ١٩١٤ ، أوفيا بعدها ، انتهجت سياسة حربية قوامها الدفاع في الغرب والتعرض في الشرق ، لكن من الممكن أن تنتهى الحرب على غير ما انتهت إليه . لأنها من جهة كان في امكانها من غير شك أن تحقق حلمها في "أوروبا الوسطى" ، ومن جهة أخرى كان اذ ذاك الحصر البحرى ما يزال رخوا وما كان في الامكان تشديده بدرجة مثيرة مادامت الولايات المتحدة خارج حلقة الحرب . ومتى صارت كل منطقة أوروبا الوسطى تحت سيطرتها . وخرجت روسيا من الحرب ، حتى ولو كانت ألمانيا تابعة اقتصاديا أى متوقفة اقتصاديا على غيرها . فليس هناك سوى اعتقاد ضعيف بأن مساعي كل من بريطانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا كان في امكانها أن تفعل شيئا أكثر من حض ألمانيا على التزل عن بلاد البلجيك وشمال فرنسا ، وهما موضوع المساومة ، نظير ابقائها ماربحتها في الشرق لنفسها لا ينازعها فيه منازع ، حتى اذا تيسر ذلك لهذه الدول . ثم ان ألمانيا وهى أكبر مما كانت ، وأكبر أيضا من حيث القوة والموارد اللذين يصبحان في مقدورها ، تستطيع أن تتجاوز عن رغبتها في الحصول على نصر حاسم على الحلفاء الغربيين . وفى الحقيقة فإن التجاوز عن الغايات التى لا تستحق ما يبذل في سبيلها هو الفرق بين الاستراتيجية العظمى والبلاهة المتعظمة .

غير أن في سنة ١٩١٨ كانت الفرصة قد أفانت ، وكان تجلدها الاقتصادى نقص نقصا كبيرا وأخذ تضيق الحصر البحرى يضعفها بأسرع ما كان يعوضه عليها ما يأتيا من موارد البلاد التى فتحها مثل "رومانيا" و"أوكرانيا" .

فهذه هى الظروف التى حصل فيها التعرض الألمانى الأخير . وما هو الا آخرهم في كراتهم للحصول على حسم عسكري منقذ . فان اخلاء الجنود من الجبهة الروسية جعل التفوق في جانبهم ، وان كان أقل بكثير من تفوق الحلفاء في حملاتهم التعرضية . وفى مارس سنة ١٩١٧ اصطفت ١٧٨ فرقة فرنسية ، وبريطانية ، وبلجيكية مقابل ١٢٩ فرقة ألمانية . وفى مارس سنة ١٩١٨ تواجدت ١٩٢ فرقة ألمانية مقابل ١٧٣ فرقة من الحلفاء — بما فيها الفرق الأمريكية المزدوجة التى وصل منها أربع فرق ونصف فرقة . واذا كان في استطاعة الألمان أن يأتوا بوضع فرق أخرى من الشرق ، فان فيض الجنود الأمريكية الذى بدأ رشاشا تطور حتى صار سيلاً منهمرا تحت ضغط الحاجة الماسة . ومن مجموع الجنود الألمانية كان يوجد ٨٥ فرقة ممن يسمون «فرق الاقتحام» كانت احتياطيا . وكان احتياطى الحلفاء ٦٢ فرقة — ولكنها كانت من غير سيطرة مركزة . لأن التدابير الوقائية التى يقتضيها إيجاد احتياطى عام ، التى اتخذت لايحاد ٣٠ فرقة تحت أمر لجنة "فرسايل" العسكرية التنفيذية اختل نظامها حينما أعلن "هايج" أنه لا يقدر أن يقدم نصيبه منها وهو ٧ فرق . ولما جاءت التجربة اختل الاتفاق الذى كان بين القائدين الفرنسى والبريطانى على مساعدة كل منهما الآخر . فخلت الكارثة بأسرع ما كان متظرا . وعلى أثر ذلك اقترح "هايج" تعيين "فوش" ليضع الجيوش المتحالفة على قدم المساواة ويوفق بينها في بادئ الامر ثم يتولى قيادتها العامة بعد ذلك .

وكانت خطة الألمان تمتاز بالبحث عن مفاجأة تكتيكية أدق وأبعد مرمى مما سبق في كل عمليات الحرب . ومما تمدح عليه القيادة الألمانية ورجال أركان الحرب منهم أنهم أدركوا أن الشيء الواضح فيه عائق لا تعوضه زيادة القوة ، ومتى وجد العائق قل أن تستطيع هذه القوة التغلب عليه . وأن المفاجأة المثمرة لا يمكن الحصول عليها الا باشتراك عناصر خادعة اشتراكا يقوم على الدهاء والحيلة . وأن بغير هذا الاشتراك وهو المفتاح لا يستطيع فتح ثغرة في الجبهة المغلقة منذ زمن طويل . وكان العنصر الرئيسى من هذه العناصر هو اطلاق قنابل الغاز لفترة قصيرة ولكن بشدة متناهية . وكان "لودندورف" قد فاته ادراك ما للدبابات من التأثير فلم يرقها في الوقت المناسب . ولكن زيادة على ذلك كانت جنود المشاة قد تدربت على تكتيك حديث لمرورها من الفتحات التى توجد . والفكرة الرئيسية فيه هى أن تتحسس الجنود الأمامية وتتفقد من النقاط الضعيفة الموجودة في دفاع العدو ، بينما أمرت الجنود الاحتياطية أن تعضد الفوز ولا تستعيز عن الفشل أى أن تقوى الجنود الناجحة ولا تحاول تعضيد الذين لا ينجحون . والفرق المقتحمة تتقدم الى مواضع الهجوم أثناء الليل . ثم يؤتى بكل المدفعية قريبا من الخط الأمامى في تستر وخفاء . وتفتح نيرانها دون أن يسبقها تهديد « تسجيل » (أى ضبط المرمى وما الى ذلك) . وعلاوة على ذلك فان استعدادات الهجمات المتوالية التى تتعاقب وراء بعضها بعضا في النقاط الأخرى من شأنها أن تحير المدافعين في حين تبقى على استعداد لما يأتى به المستقبل .

ولكن ليس هذا كل شيء . فان "لودندورف" كان قد استنتج من تجارب حركات الحلفاء التعرضية التى حصصت على غير طائل أن « من الضرورى مراعاة التكتيك قبل مراعاة الاغراض الاستراتيجية التى من العيب التوجه اليها ما لم يكن الفوز التكتيكى في الامكان » . وهذه حقيقة لاشك فيها ما دام ليس هناك اقتراب استراتيجى غير مباشر . ومن ثم كانت التكتيكات الحديثة في الخطة الألمانية لا بد أن تصحبها استراتيجية حديثة . لأن كلا منهما يستنتج من الآخر . وكلاهما قائم على مبدأ حديث أو تجدد بعد هجر — هو اتباع خط أقل مقاومة (أى الخط الذى تكون فيه المقاومة أقل مما في غيره) . ولكن ظروف سنة ١٩١٨ في فرنسا جعلت مجال أقل الخطوط انتظارا (الخط الذى لا يتوقع العدو منه الهجوم) . محدودا فضلا عن أن "لودندورف" لم يحاول أن يسلكه . ولكن مع وجود الجيوش المتعاربة منتشرة أمام بعضها بعضا ومتماصة على طول خط المتاريس الشاسع الامتداد فان اختراق أحد الطرفين خط الطرف الآخر بسرعة واسراعه في استغلال هذا النفوذ على طول الخط الذى يكون أقل مقاومة من غيره قد يؤدى به الى غاية هى في العادة لا يمكن الوصول اليها الا بسلوك خط هو أقل ما ينتظره العدو (أى أقل الخطوط انتظارا) .

أما النفوذ فقد كان سريعا وأما الاستغلال فجاء على عجل . ومع ذلك فإن الخطة فشلت . فما هو مكان الخطأ ؟ فالانتقاد العام الذى حصل على أثر هذا الحادث وبعد الحرب هو أن التحيز التكتيكي أدى "لودندورف" لأن يغير اتجاهه ويشتت قوته لكي يحشد جنوده على النجاح التكتيكي ، على حساب الغاية الاستراتيجية . فكان يظهر ، وقد قيل : أن ذلك المبدأ خاطئ . غير أن فحص الأوراق الرسمية الألمانية عن كشب وهى التى أصبحت فى اليد ، والأوامر التى أصدرها "لودندورف" نفسه والتعليمات التى أعطائها ، كل هذه تلقى ضوءا جديدا على هذه المسألة . والذى يظهر ، فى الواقع ، هو أن الخطأ الحقيقى فى أن "لودندورف" لم ينفذ عمليا المبدأ الذى اتجهه نظريا . فهو إما أنه لم يدرك تماما مغزى هذه النظرية الاستراتيجية الحديثة ، وإما أنه خشى عواقبها . لأنه فى الواقع شتت جزءا كبيرا من جنوده الاحتياطية أكثر مما يلزم جريا وراء اصلاح فشله التكتيكي والاستعاضة عنه . ثم أنه بقى مترددا ، أطول مما يلزم ، فى البت فى أمر استغلال فوزه التكتيكي .

فإن المصاعب ابتدأت حتى فى اختياره نقطة للهجوم . وهذا الهجوم كلفت به الجيوش السابع ، والثانى ، والثامن على جبهة اتساعها ٤٧ ميلا بين "اراس" و "لاير" . وكانت الفكرة تمحوم حول أحد اقتراحين : أحدهما الهجوم على جانبي زاوية "فردون" الخارجة ولكنه رفض بحجة عدم صلاحية الأرض ، وأن اختراق خطوط العدو لا يكاد يؤدي الى نتيجة حاسمة ، وأن الجيوش الفرنسى قد استعاد قوته ونشاطه بدرجة فائقة بعد أن قضى نحو سنة فى دور النقاها لايزعجه شيء . والآخر هجوم بين "اير" و "لنز" وهذا الاقتراح وإن كان وقع لدى "وتسل" ، المستشار الاستراتيجى "لودندورف" موقع القبول وعضده البرنس "روبرخت" قائد الجبهة بين "سان كوانتان" والبحر إلا أنه رفض بحجة أنه ياتى بكلفة الجيش البريطانى الرئيسية ، وأن الأرض المنخفضة يتأخر جفافها .

فوقع الاختيار على قطاع "اراس" "لاير" بسبب أنه فضلا عن ملاءمة أراضيه فإنه كان أضعف قطاع فى دفاعاته ، ومدفعيه ، وجنوده الاحتياطية . وعلاوة على ذلك فقد كان قريبا من نقطة اتصال الجيوش الفرنسى والبريطانى . وكان فى مأمول "لودندورف" أن يفصلهما عن بعضهما ثم يسحق الجيش البريطانى سحقا لا اعتقاده أنه قد ضعف ضعفا كبيرا لسبب ما بذله من المجهود فى "اير" . ولكن مع كون هذا القطاع ضعيفا نسبيا حقيقة بصفة عامة فإن التفصيل كان منحلا وليس قرين الصحة . فإن ثلثه الشمالى كان قويا وكانت ترابط به قوة كبيرة هى الجيش الثالث البريطانى وقوامه ١٤ فرقة (٤ فرق احتياطى) بينما كان سواد الجنود الاحتياطية البريطانية موجودا فى ذلك الجناح فضلا عن إمكان وصول المدد ، وقد وصل فعلا اليه من الجيوش البريطانية الأخرى التى كانت جهة الشمال أسرع من وصولها الى غيره . أما الثلثان الباقيان من هذا القطاع الذى نزلت به الضربة الألمانية فكان يربط

ففيهما الجيش الخامس البريطاني وكان يربط في القمم الوسطى منه الذي يحياه الجيش الثاني الألماني ٧ فرق (٢ احتياطي) والجزء الجنوبي المجابه للجيش الألماني الثامن عشر كان يربط فيه ٧ فرق (فرقة احتياطي) .

غير أن "لودندورف" أعطى جيشه السابع عشر الموجود بالقرب من "أراس" ١٩ فرقة للهجوم الافتتاحي ، يمتدحه الأسر فقط ، على جبهة اتساعها تسعة أميال ونصف ميل ، وجنوبي منه جاء الجيش الثاني . ولما كان مقررا أن الزاوية الخارجة البريطانية الكائنة جهة "كبراى" لا تهاجم هجوما مباشرا ، بل تترك بارزة الى الأمام ، كان هذا الجزء البالغ اتساعه ٤ أميال محتلا احتلالا وافيا بفرقتين ألمانيتين . وكان مع الجيش الثاني ١٨ فرقة لجبهة هجومه وهي تسعة أميال ونصف ميل . ثم جاء الجيش الثامن عشر في منتهى الجنوب وعلى كلا جانبي "سان كواتان" وقد أعطاه "لودندورف" ٢٤ فرقة فقط ليهاجم بها جبهة اتساعها ٢٠ ميلا . ومن ذلك نرى أن قوته كانت نصف قوة الجيشين الآخرين النسبية . فهو على الرغم من المبدأ الذي اتبعه كان يوزع قوته بحسب قوة العدو . ولم يحشدها أمام أضعف مقاومة . وقد أكد ذلك بالأكثر ، الاتجاه الذي أعطاه في أوامره . فكان المقرر أن يبذل المجهود الرئيسي شمالي نهر "السوم" . وكان على الجيشين السابع عشر والثاني بعد نفوذهما من الخط واختراقه أن يدورا الى الشمال الغربي ويضغطا الجيش البريطاني فيدفعاه الى الوراء نحو الساحل ، في حين كان النهر والجيش الثامن عشر يحترمان الجناح . أما الجيش الثامن عشر فكان عبارة عن مجرد حرس جنى تعرضى . وهذه الخطة قضى عليها بأن تتغير تغييرا كليا في التنفيذ وأن يكون لها مظهر اتباع أقل الخطوط مقاومة لأن "لودندورف" نال فوزا سريعا حيث كان يرغبه قليلا ، وأخفق حيث أراد الفوز أكثر مما في أى مكان آخر .

فبدأ الهجوم في ٢١ مارس وقد ساعد على المفاجأة وجود ضباب في الصباح المبكر . ولكن بينما نجحت الهجوم في النفوذ تماما جنوبي نهر "السوم" حيث كان الدفاع — وكذلك أيضا القوة الهاجمة — أضعف مما في أى مكان آخر ، أعيقت بالقرب من "أراس" . فكان لاعاقبتها رد فعل على كل الهجوم شمالي النهر . فمثل هذه النتيجة كان شيئا مؤكدا . غير أن "لودندورف" تمادى في الاخلال بمبدئه الجدي وقضى الأيام التالية في محاولة بعث الحياة من جديد في هجمته على جبهة "أراس" البسطينية ، الجيدة التحصين والمدافعة ، محتفظا بهذا الاتجاه بصفته الخط الرئيسى لمجهوده . وفي نفس الوقت كان يقبض اليه عنان الجيش الثامن عشر الذي كان يزحف في الجنوب دون أن يلقى مقاومة جدية . وحتى في يوم ٢٦ مارس أصدر له أوامر يمنع من عبور نهر "الآفر" وحتم عليه أن ينظم حركته على حركة جاره ، الجيش الثاني ، الذي كان هو الآخر متأخرا بسبب الجيش السابع عشر الذي كان تقدمه محدودا جدا بالقرب من "أراس" . وهنا نرى أن "لودندورف" كان في الحقيقة مصححا على تحطيم الجيش البريطاني بتحطيم أقوى

قطاعاته مقاومة ، باقتحام مباشر . ولأن ذلك ملك عليه مشاعره أخفق في مسعاه حتى فات الأوان . وعندها ألقي بثقل جنوده الاحتياطية الى الخط الذي هو أقل الخطوط مقاومة ، جنوبي نهر "السوم" . ثم ان الدورة التي كان في النية القيام بها الى الشمال — الغربي ربما كانت حصلت لو أنها جاءت بعد الخلوص من الجناح أى فواته . وبذا يمكن توجيهها الى مؤخرة جبهة "أراس" البسطينية . وفي ٢٦ مارس ظهر أن الهجوم شمالى نهر "السوم" (بالجناح الأيسر من الجيش السابع عشر والجناح الأيمن من الجيش الثاني) كان آخذاً في الضعف الذي هو ثمن النجاح الذي أحرزه بكل مشقة . أما جنوبي نهر "السوم" فكانت ميسرة الجيش الثاني قد وصلت الى صحرا ميادين نهر "السوم" القديمة ، فعرقلتها وأربكتها — اذ عطلت السير واستيراد المؤن . فالذى كان مستمرا في الزحف دون ابطاء هو الجيش الثامن عشر وحده .

وهذا الموقف أدى "لودندورف" لأن يتخذ خطة جديدة ولكنه لم يترك القديمة . فأصدر أوامره بالقيام بهجوم جديد مباشر في ٢٨ مارس على الأراضي المرتفعة القريبة من "أراس" تقوم به ميمنة الجيش السابع عشر ، ويعقبه هجوم يقوم به جيش سادس شمالى ذلك المكان مباشرة بين "نيمى" و "لاباسيه" . غير أن حسن الموقف جنوبي نهر "السوم" جعله يعين "أميان" لتكون الغاية التي يقصدها الجيش الثاني . وحتى حينذاك فانه منع الجيش الثامن عشر من الاندفاع ليلتف حول جناح المقاومة الآتية من "أميان" ، بدون أوامر جديدة ! فانه لما جعل "أميان" غرضاً اضافياً رئيسياً فلا بد من الاستيلاء عليها باقتراب مباشر فوق أرض وعرة .

وفي ٢٨ مارس بدأ الهجوم على "أراس" دون أن يحجبه ضباب أو تستره مفاجأة . وفشل فشلاً تاماً أمام المقاومة التي كان الجيش الثالث تحت قيادة "بنج" قد استعد لها استعداداً جيداً . وعندئذ فقط ترك "لودندورف" فكرته الأصلية ووجه مجهوده الرئيسى وبعض ما تبقى من جنوده الاحتياطية الى "أميان" . ولكنه في نفس الوقت أمر الجيش الثامن عشر بالبقاء في مكانه يومين . فلما تجدد الهجوم في ٣٠ مارس كانت قوته قليلة ولم يتقدم الا قليلاً أمام المقاومة التي تقوت وازدادت صلابة بما أتيج لها من الوقت ، وكانت تعاونها الجنود الاحتياطية التي أخذت تتدفق الى خط القتال الذي كان قد تقوس الى الداخل . وهذا هو أول يوم اشتبكت فيه مدفعية الألمان في القتال بكل قوتها بعد أن وصلت متأخرة عن المشاة . وقام الألمان في ٤ أبريل بمجهود آخر بخمسة عشر فرقة منها ٤ فقط كانت جديدة . فكان نجاحهم أقل من سابقه . وعند ذلك أوقف "لودندورف" الهجوم في اتجاه "أميان" خشية أن يضطر الى التدرج الى حرب الانهك . وهو في ذلك كله لم يلق بقوته في أى وقت من الأوقات على طول خط الشق الذي بين الجيشين البريطانى والفرنسى . ومع كل فان "بيتان" فاتح "هايج" في ٢٤ مارس بأنه اذا استمر تقدم الألمان على طول هذا الخط فانه سيضطر الى سحب الجنود الفرنسية الاحتياطية نحو الجنوب — الغربى لتستر باريس . فما أقل مقدار الضغط الذي كان الألمان في حاجة اليه

فوق ضغطهم ليحولوا الشق البسيط الى بون شاسع ! وهذا دليل آخر على الحقيقة التاريخية وهي أن الوصلة (أى مكان أو نقطة اتصال جيشين) هى أكثر النقاط احساسا وأصلحها للهجوم . وأيضا أن النفوذ بين قوتين أو وحدتين يكون أشد خطرا اذا كانت القوتان منضمتين كتفا لكثف مما اذا كانت احدهما منفصلة عن الأخرى وبعيدة عنها وكل منها قائمة بذاتها .

فأبقى "لودندورف" جزءا كبيرا من جنوده الاحتياطية مرابطا أمام القوس الواسع البارز الى الأمام جنوبى "أراس" ، والتفت الى اطلاق هجمة جديدة شمالها وان لم يكن وانقا منها كثيرا . ففى ٢٥ مارس كان قد أمر باعداد هجمة ضيقة النطاق بين "لاباسيه" و"أرمنتير" لتكون خطوة فى سبيل توسيع الجزء الذى اخترقه . فانه بعد اخفاق هجومه على "أراس" فى ٢٨ مارس كان قد توسع فى خطته . فالهجوم جنوبى "أرمنتير" كان مقررا أن يعقبه هجوم آخر شمالها بعد ٢٤ ساعة يحمل المدينة بارزة الى الأمام . فلما صدر أمر الهجوم متأخرا لم يتم الاستعداد له الا فى ٩ أبريل ، وحتى فى ذلك التاريخ كان القصد منه مجرد تشتيت فكر العدو . غير أنه لما صادف نجاحا مدهشا سريعا ، ساعده عليه الضباب فى الصباح المبكر ، ضد قطاع صار ضعيفا ، أخذ "لودندورف" يحوله الى مجهود كبير شيئا فشيئا . ففى ٩ أبريل انقضت ٩ فرق ألمانية معها ٥ فرق أخرى احتياطية على فرقة واحدة برتغالية وفرقتين بريطانيتين على جبهة اتساعها ١/٢ ٩ أميال جنوبى "أرمنتير" . وفى اليوم التالى هجمت ٤ فرق شمالى "أرمنتير" على جبهة اتساعها ١/٢ ٥ أميال . ولما أخذت المقاومة تزداد صلابة جاءت فرق جديدة الى القتال وراء بعضها بعضا حتى بلغ عدد ما استخدم منها فى نهاية الأسبوع الأول من مايو ما ينوف على ٤٠ فرقة . وبهذه الكيفية انحدر "لودندورف" الى حملة انهاك .

وكان البريطانيون على مقربة من قواعدهم ومن البحر بدرجة خطيرة ولكن مقاومتهم أوقفت سيل الألمان بعد أن غزوا عشرة أميال ووصلوا الى مكان قريب من محطة اتصال السكة الحديدية الهامة وهى "هازيروك" . وبعد ذلك حاول "لودندورف" ائزال ضربة فى ١٧ أبريل تتلاقى لها جنوده على جانبي "اير" ، ولكن "هايج" سبقها بعمل غير مباشر وأبطل عملها ، بوجه التقريب ، بإدارة خطه الى الورا فى بحر الثمانية والأربعين ساعة السابقة لها . ولما خاب هذا المشروع عاد "لودندورف" الى هجوم مباشر محض جنوبى "اير" حيث كانت جنود الفرنسيين الاحتياطية قد وصلت لتسلم جزءا من الخط . ولما وقعت الضربة على الوصلة (نقطة اتصال الجيشين) شقتها فى "كيل هيل" ولكن "لودندورف" أوقف استغلالها خوفا من ضربة مضادة . وفى كل هذه المدة كان يقتر فى ارسال جنوده الاحتياطية فتصل متاعرة وقليلة العدد بدرجة لايتأتى معها نجاح . ويظهر أنه بعد فشل حركاته التعرضية الأولى زالت ثقته فى الثانية . وبعد أن بذل مجهودا أخيرا فى ٢٩ أبريل أوقف العمل . غير أنه كان ينوى أن يؤجل حركاته موقتا الى أن يستطيع أن يجرب الجنود الاحتياطية الفرنسية الى جبهتهم مصمما

بعد ذلك ان يضرب البريطانيون في "فلاندرز" ضربة نهائية حاسمة . فقد كان قبل ذلك أمر بالاستعداد للهجوم على قطاع "شمين — ده — دام" بين "سواسون وريمز" بنية القيام به في ١٧ أبريل . ولكن الاستعداد لم يتم الا في ٢٧ مايو — ويرجع بعض السبب في هذا التأخير الى كونه أطلال حركاته التعرضية في "فلاندرز" فترتب على أطلالها استنزاف قوة جنوده الاحتياطية . وقد تنبأ فرع الاستعلام (المخابرات) من مركز الرئاسة العامة الأمريكية بالمكان الذي سيحصل فيه الهجوم وبتاريخه بوجه التقريب . ولكن لم يصغ أحد الى ما أنذر به هذا الفرع الا في ساعة متأخرة حينما أيد هذا الخبر أحد الأسرى في ٢٦ مايو . وحينذاك كان قد فات الأوان على تقوية الدفاع سوى وضع الجنود على قدم الاستعداد . ولكن هذا الانذار أمكن الجنود الاحتياطية من الشروع في الحركة . وفي اليوم التالي وقعت الضربة من ١٥ فرقة على ٧ فرق . ومع أن هذه الهجمة لم يساعدها أى حجاب من الضباب فانها اكتسحت ما أمامها ومرت فوق نهر "الين" فوصلت نهر "المارن" في ٣٠ مايو . ولكن حصل هنا أيضا أن نال "لودندورف" شيئا من الفوز لم يعد له عدة ولم يكن راغبا فيه . فالتفاجئ هو الذى فوجئ . وهذا الفوز الافتتاحي لم يقتصر على اجتذاب كمية عظيمة من الجنود الاحتياطية اليه أكثر مما يلزم بل أبطل تأثيرهم . لأن جنود الحلفاء الاحتياطية تحركت معهم في وقت واحد .

ومع ذلك فان مدى هذا الفوز الافتتاحي يستحق التحليل نظرا لعدم وجود ضباب . ولأن هذا الهجوم لم يكن زائدا في تفوق جنوده عددا عما سبقه الاشياء يسيرا . والذي يظهر هو أن السبب فيه يرجع بعضه الى تحويل انتباه الحلفاء وجنودهم الاحتياطية الى مكان آخر . وبعضه الى اتباع خط أقل مقاومة بدرجة بعيدة الحد في الدقة . وبعضه يرجع الى حماقة القيادة الفرنسية المحلية ، فانها أصرت على تجمع المشاة كتلا في المواقع الأمامية فكانت وهى مكدسة طعمة لنيران مدافع الألمان . ثم ان المدفعية ، والجنود الاحتياطية المحلية ، ومركز رئاسة الدفاع كانت كلها الى الأمام أكثر مما يلزم . فكانت النتيجة أن وقع أعظم درجات الانهيار على أثر نفوذ الألمان من الخط . وبذلك استرد الهجوم تأثير المفاجأة التكتيكية الذى كان فقد بعضه في اليوم السابق لوقوعه . لأنه مادام أن الغرض من المفاجأة هو زحمة العدو فان تأثيرها واحد سواء كان العدو قد بوغت نائما بواسطة الحيلة ، أو سمح لنفسه بأن يقع في الشرك وعيونه مفتوحة .

وكان "لودندورف" الآن أوجد في جبهة الحلفاء تقويسين بارزين هائلين وآخر أصغر منهما ، وكانت محاولته التالية إبراز قطاع "كوبينه" الى الأمام (بضغط أجنابه . وهو القطاع الواقع بين تقويسى "اميان" و"المارن" . ولكن في هذه المرة لم تحصل مفاجأة بخاءت الضربة الموجهة الى غربى القطاع في ٩ يونيه متأخرة عن الضغط الحاصل جهة الشرق . وهنا حصل توقف لمدة شهر . وكان "لودندورف" يرغب أن ينزل ضربته الحاسمة التى كانت تتوق اليها نفسه منذ

زمن بعيد، بالبريطانيين الموجودين ببلاد البلجيك ولكنه رأى أن جنودهم الاحتياطية مازالت قوية ولذا عاد الى تصميمه على تشتيت أفكار العدو مرة أخرى مؤملا أنه اذا أنزل ضربة شديدة بالجنوب فانها تستجلب الجنود الاحتياطية البريطانية من مكانهم . وكان أخفق في ابراز قطاع "كومبنيه" الى الأمام غربى زاويته الخارجة الموجودة على "المارن" . فكان الآن على وشك محاولته نفس هذه الطريقة شرقى تلك الزاوية بأن يهاجم كلا جانبي "ريمز" ولكن كان في حاجة الى فترة للاستراحة والاستعداد ، فكان هذا التأخير فيه القضاء المبرم اذ أتاح للبريطانيين والفرنسيين فرصة يستعيدون فيها نشاطهم والأميركيين يستجمعون قوتهم .

ويصح القول بحق ان النجاح التكتيكي الذي نالته ضربات "لودندورف" كان سبب مصائبه بمعنى انه كان يتأثر بنجاح هذه الضربات ويمتدأى في كل ضربة منها أطول وأبعد مما يلزم فاستنفذ جنوده الاحتياطية : وأوجد مسافة بين كل ضربة والأخرى ما كان يجب أن تكون ، ثم انه لم يتبع خط أقل درجات المقاومة ، بل كان يتبع خط المقاومة التي تزداد صلابة . لأنه بعد اختراقه الخط لأول مرة كانت كل هجمة من هجماته قد صارت اقترابا مباشرا محضا من الوجهة الاستراتيجية . وكان قد دفع ثلاثة أسافن عظيمة (أى نفذ بجنوده في ثلاثة مواضع) ولكن لم ينفذ منها واحد بالقدر الكافى لأن يقطع شريانا حيويا . وهذا الفشل الاستراتيجي أوجد فلولاً في جبهة الألمان تستجلب الضربات المضادة الجانبية .

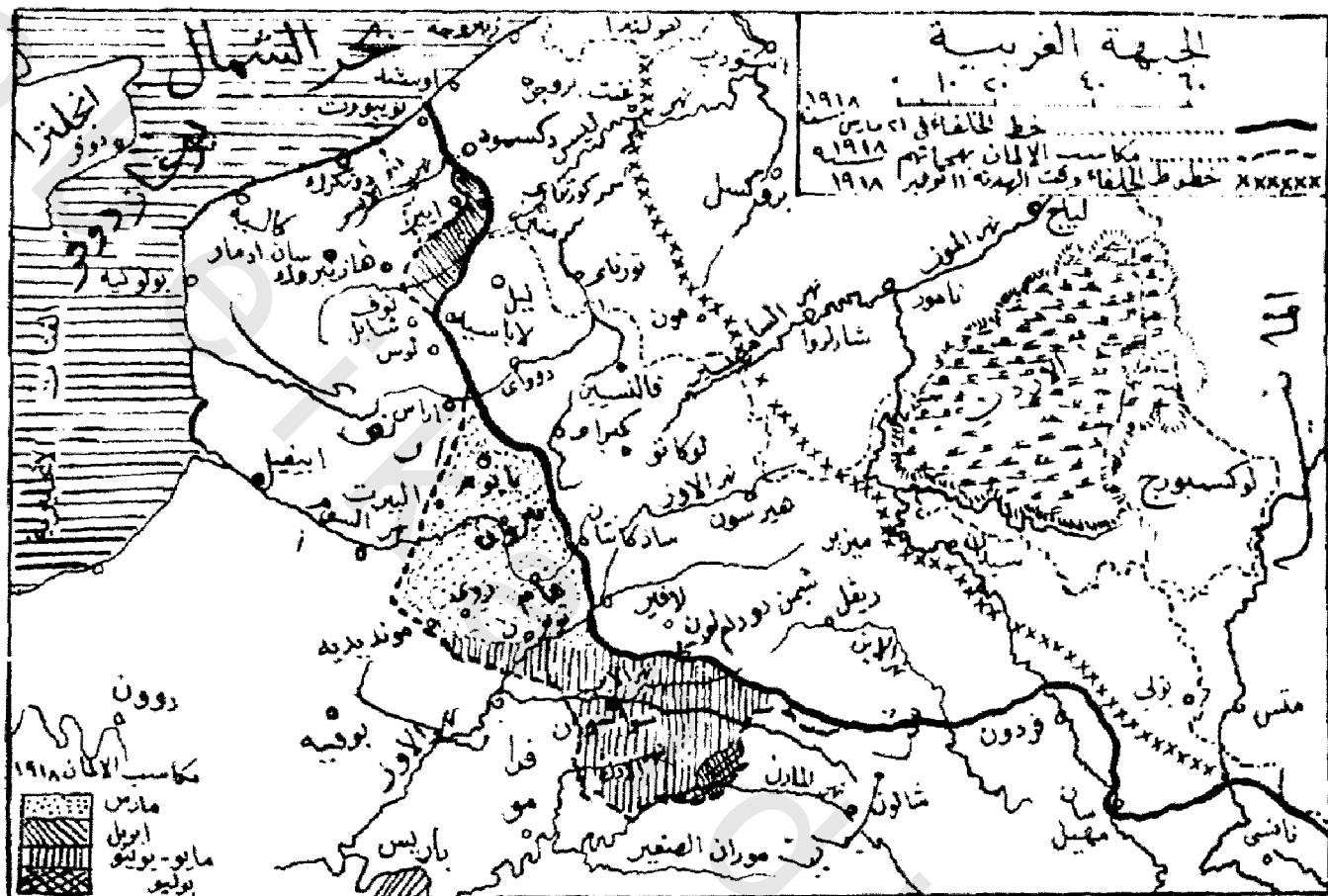
وفي ١٥ يولييه دفع "لودندورف" هجومه الجديد ولكن وقوع هذا الهجوم لم يكن سرا . فغاب شرقى "ريمز" بسبب ما لاقاه من الدفاع المرن . أما غربى "ريمز" فان نفوذ الألمان عبر نهر "المارن" زادهم توغلا في الحبال وتغلغلا فيها لدرجة أدت الى سقوطهم - لأن "فوش" وجه ضربة الى الجنب الآخر من زاوية "المارن" الخارجة استعد لها منذ مدة طويلة . وهنا قام "بتان" الذى كان يدير هذه العملية بادارة المفتاح الذى كان ينقص "لودندورف" . فاستخدم كتلا من الدبابات الخفيفة وجعلها في مقدمة هجمة مفاجئة على طريقة "كبراي" . فتمكن الألمان من ابقاء باب الزاوية الخارجة مفتوحا وقتا كافيا لسحب جنودهم وارجاعها الى مكان أمين ثم عدلوا خطهم بفعلوه مستقيا . ولكن جنودهم الاحتياطية نقصت فاضطر "لودندورف" في بادئ الأمر لارجاء حركاته التعرضية في "فلاندرز" ثم بعد ذلك تنحى عنها وتركها . فانتقلت القوة الانشائية الى جانب الحلفاء بصفة قطعية نهائية .

والضربة المضادة التي قام بها الحلفاء على نهر "المارن" تستدعى البحث والتمحيص . فان "بتان" كان طلب من فوش أن يجمع مجموعتين من الجنود الاحتياطية واحدة منها في "بوفيه" والأخرى في "ايريني" للقيام بضربة مضادة ضد جناح أى هجوم يقوم به "الألمان" وعلى أثره مباشرة . وكانت أولاهما تحت قيادة "مانيسين" فاستخدمت لاحتباط الهجوم الذى قام به الألمان في ٩ يونيه ، ثم تحولت الى موقع على الوجهة الغربية لزاوية المارن الخارجة .

على أن "فوش" كان وضع خطة باستخدامها في حركات تعرضية مباشرة للزحف على مركز السكة الحديدية في "سواسون". وبينما هم يستعدون لذلك اذ بلغت مصلحة الاستعلام (المخابرات) أخبارا أكيدة بأن الألمان على وشك أن يهجموا بالقرب من "ريمز". ولذلك صمم فوش على أن يسبقهم بضربة ينزلها بهم في ١٢ يونيو، لا أن يرد عليهم بها. غير أن "بتان" كان له رأى يخالف ذلك هو أن يدع الألمان يتقدمون ويوقعون أنفسهم في الشرك ثم يضربهم في مؤخرة جناحهم. ومن الغريب أن الجنود الفرنسية تصادف أن كانت على غير استعداد في يوم ١٢ يونيو وعلى ذلك نشبت المعركة بناء على فكرة "بتان" أكثر منها على فكرة "فوش". أكثر فقط لا بالكلية. لأن خطة "بتان" كانت أن يتخلى أولا عن موقعه الأمامي للهاجمين بأن يربط فيه مرابطة ضعيفة ثم يوقفهم أمام الموقف الخلفى الذى لم يمسه ضرر. وعندما يقوم بهجمات مضادة محلية حتى يمكن استدراج العدو الى اشراك جنوده الاحتياطية في القتال في الفتحات التى يوجدها هجومهم على كلا جانبي "ريمز". وأخيرا يدفع "مانين" الى الحركات التعرضية المضادة الحقيقية نحو الشرق على طول خط قاعدة زاوية "المارن" الخارجة الرئيسية. وبذا قد يتمكن من اغلاق الجزء الضيق الذى تنتهى اليه الساحة الواسعة التى تكون القوات الألمانية الموجودة جنوبى نهر "الدين" محبوسة فيها.

ثم ان الحوادث اشتركت مع "فوش" في تعديل هذه الفكرة. فان الهجوم الألمانى شرقى "ريمز" أحبطه الدفاع المرن — وهو صورة من صور الاقتراب التكتيكى غير المباشر. أما غربى "ريمز" فان القواد أصروا على التثبيت بطريقة الدفاع العتيقة التى لا مرونة فيها وكانت النتيجة أن انكسر خطهم. ونفذ الألمان الى ما وراء نهر "المارن" واضطر "بتان" تلافيا للخطر لأن يستخدم القسم الأعظم من جنوده الاحتياطية التى كان أعدها للطور الثانى. ولكى يستعiez عنهم صمم على أن يأخذ من "مانين" جنودا تحل محلهم، وأجل ضربة "مانين" المضادة. مع أن فوش أمر بها وحدد لها يوم ١٨ أغسطس. فلما بلغ "فوش" ذلك ألغاه في الحال ومن ثم نشأت الضرورة للتخلى عن الطور الثانى وتمكنت الجنود الاحتياطية الألمانية من صد "مانين" وابقاء الجزء الضيق مفتوحا. وأصبحت الضربة المضادة مجرد ضغط مباشر محض واقع من جنود آتية من جهات مختلفة متلاقية عند الهجوم، كما فعل "فالكنهاين" في بولندا في سنة ١٩١٥، فضغطت الألمان وأرجعتهم وأخرجتهم من كل تلك الساحة.

وكانت فكرة "فوش" الرئيسية منذ ذلك الحين المحافظة على القوة الانشائية وعدم اعطاء العدو فرصة للراحة بينما تتجمع جنود "فوش" الاحتياطية وتتراكم. وأول خطوة خطاها كانت تحرير خطوطه الحديدية الجانبية بسلسلة من الحركات التعرضية المحلية. قام بأولها "هايج" في ٨ أغسطس أمام "أميان". ذلك أن الجيش الرابع الذى يقوده "رولنسون" ضوعف



عدده بتدبير يشف عن مهارة في الحذر والخدعة وتقدم للهجوم — مسبقا بـ ٤٥٠ دبابة — وفاجأ العدو مفاجأة ربما كانت في أولها أتم وأكمل مفاجأة وقعت في الحرب . فهي وإن كانت أوقفت سريعا — لأن اتجاه ضغطها كان سببا طبيعيا لايقافها — إلا أن صدمتها الافتتاحية المفاجئة كانت كافية لزعزعة توازن القيادة العليا الألمانية من الوجهة المعنوية . ولما اقتنع ”لودندورف“ بفلاس جنوده أدبيا أعلن أن الصلح لا بد أن يُسعى له بالمفاوضات . وفي نفس الوقت ”لا بد أن يكون الغرض من استراتيجيتنا شل ارادة العدو للحرب تدريجيا بانتهاج الدفاع الاستراتيجي“ .

غير أن الحلفاء أوجدوا في نفس الوقت طريقة استراتيجية جديدة . فان ”فوش“ بث هذا الابعاز لأول مرة بأن أمر بهجمات تقع على التوالي في نقاط مختلفة . ثم ان ”هايج“ أكل تطور هذه الطريقة بعدم اتفاقه مع ”فوش“ في تعليماته التي أصدرها باستمرار الجيش الرابع في الضغط الجبهي (الأمامي) فلم يستأنف زحفه الا بعد أن ضرب كل من الجيشين الثالث والأول ضربته . ومنذ ذلك الحين أصبح تعرض الحلفاء عبارة عن سلسلة من الضربات السريعة في نقاط مختلفة ، وان كان ذلك قاصرا على الدائرة التي يسيطر عليها كل من ”هايج“ و”بتان“ . وكانت كل ضربة تنتهي بمجرد ما تزول قوتها الدافعة الأصلية . فكانت كل منها ترمى الى تمهيد السبيل للأخرى والكل قريبين من بعضهم بعضا بالدرجة الكافية في الزمان والمكان ليكون لكل جيش رد فعل على الآخر . وهذه الوسيلة لاقى ”لودندورف“ عائقا يعوقه في تحويل جنوده الاحتياطية لتبادر بالاستعداد لتلقى الضربات . ووضعت ضربة على ما تبقى من جنوده الاحتياطية أخذت تتصاعد ، كلفت خزينه الحلفاء كلفة اقتصادية . وهذه الطريقة وان لم تكن اقترابا غير مباشر في الحقيقة ، كانت على الأقل تظهر انها قريبة منه ، وان لم تسلك الخط التي لا ينتظره العدو فانها كانت تتجنب خط الانتظار الطبيعي . وان كانت لم تسلك خط أقل مقاومة ، فانها لم تستمر مطلقا على طول الخط الذي تزداد فيه المقاومة صلابة . فهي في الواقع صورة سلبية للاقترب غير المباشر .

ونظرا للانحطاط الذي طرأ على القوات الألمانية من حيث القوة المعنوية والقوة العددية فان هذه الطريقة كانت كافية ، لأجل معلوم على أقل تقدير ، لضمان استمرار الزحف واضعاف مقاومة الألمان تدريجيا . ثم ان الأدلة الواضحة على هذا الانحطاط وما ترتب عليه من وثوق ”هايج“ من امكانه أن يكسر خط ”هندنبورج“ حيث كانت الجنود الاحتياطية الألمانية أقوى منها في أى مكان أخرجعلا ”فوش“ يترك هذه الطريقة ويقوم في آخر سبتمبر بحركات عامة تقع في آن واحد .

وهذه الخطة كانت ترمى الى ضغط مباشر يأتي من جهات مختلفة على الزاوية الخارجة الكبيرة المكونة من الجبهة الألمانية في فرنسا بحيث تتلاقى الجيوش القائمة بها وتطبق على

العدو. وكان المأمول ان جناحى الحلفاء المؤلف احدهما من البريطانيين والآخر من الأميركيين حينما ينطبقان يفصلان قسما عظيميا من الجيوش الألمانية الموجودة بالزاوية الخارجة عن بقية جيوشهم ويقطعان رجعتهم . وهذا الأمل كان أساسه أن ناحية ”الاردنز“ تكاد تكون سورا خلفيا لا يستطيع المرور منه وله منافذ ضيقة في الأجانب . ويصح هنا أن يقال عرضا ان هذا الرأي فيما يختص ”بالاردنز“ لا بد أن يكون منشأه عدم معرفة ذلك الاقليم . لأن فيه طريقا جيدة وأغلب الأقليم ذاته جهات وعرة لا جبلية .

وهذه الخطة كانت في الأصل بناء على اقتراح ”بيرشنج“ تشتمل على درجة معينة من الاقتراب غير المباشر . فان اقتراحه كان أن الجيش الأمريكى يستغل نجاحه المحلى بإزالة زاوية ”سان ميهيل“ الخارجة بزحفه نحو ”بري“ والمرور على ”متس“ قصد التوصل الى اعتراض المواصلات الألمانية في ”اللورين“ وتهديد خط رجعتهم الغربى الى نهر ”الرين“ . غير أن ”هايج“ عارض في هذه الحركة بحجة أنها مشتتة عن هجمات الحلفاء الأخرى بدلا من أن تكون متجمعة عليها . وبناء على ذلك غير ”فوش“ خطته مهملا اقتراح ”بيرشنج“ وعلى ذلك اضطر الجيش الأمريكى لأن يحول مجهوده نحو الغرب ويستعد للهجوم على قطاع ”الموز“ و ”الأرجون“ دون أن يترك له وقت للاستعداد أكثر من أسبوع واحد . وهنا كانت نتيجة الضغط المتواصل على طول الخط الذى تزداد فيه المقاومة صلابة ، عظم التكاليف والفوضى . فضلا عن أنه قد تبين أن هذه الحركة لم تكن ضرورية لتسهيل زحف ”هايج“ من خلال خط ”هندنبورج“ فان مجرى الحوادث كان فيه ما يدل على أن الاقتراب المباشر اذا توافر معه تفوق عظيم في النيران ، كانت قوة العدو المعنوية منحلة فانه يستطيع النفوذ الى موقع العدو ولكنه لا يستطيع تشتيته .

وفي ١١ نوفمبر وهو تاريخ الهدنة ، كانت القوات الألمانية ، بتضحية مخافها الخلفية ، قد خرجت بسلام من الزاوية الخارجة ورجعت الى خط مستقيم أقصر من خطها الأصلي وكان زحف الحلفاء قد توقف فعلا وكان توقفه بسبب صعوبات اعاشة الجنود وتموينها في الجهات التى أتلها العدو أكثر مما كان بسبب المقاومة الألمانية . ففي هذه الظروف كان الاقتراب المباشر مساعدا للألمان على التسلل أكثر مما كان في الامكان تعقبهم .

ولحسن الحظ لم يكن للطور الأخير من الحركات التعرضية العسكرية أهمية تذكر . فان الضربة الأدبية التى أنزلتها المفاجأة الأصلية في ٨ أغسطس بالقيادة الألمانية أكلها اقتراب غير مباشر فى مسرح آخر بعيد كل البعد وجعلها ضربة مميتة . وتلك هى الحركات التعرضية التى قام بها الحلفاء فى جبهة سلاينيك . فلما كانت موجهة الى قطاع أراضيه وعرة بدرجة أن كان المدافعون قليلي العدد نفذت منه بسرعة . ويجرد ما حصل ذلك صارت البلاد الجبلية الصعبة عائقا يموق المدافعين عن تحويل جنودهم الاحتياطية تحويلا جانبيا لاعاقة سير الزحف

على خط أقل مقاومة . ولما انشطر جيش البلغارين الذين ملوا الحرب الى شطرين تمدوا عقد الهدنة . وهذا العمل المجيد لم يهدم أول دعامة لدول الوسط فحسب ، بل فتح أيضا الطريق للزحف على مؤخرة النمسا . ثم التهديد زاد قربا عند ما نزلت الحركات التعرضية الإيطالية على الجبهة النمساوية التي كانت ترعزعت أدبيا واضمحلت ماديا ونفذت منها . إذ يجرد تسليم النمسا على أثر ذلك أصبحت أراضيها وسككها الحديدية تحت تصرف الحلفاء بصفتها قاعدة للعمليات ضد الباب الخلفى لألمانيا . وقد قال الجنرال فون "غالويتس" لكبير الوزراء في شهر سبتمبر أنه لو حصل ذلك ، ولم يكن إذ ذاك قد تحقق ، فإنه يكون "حاسما" .

وهذا التهديد مع التأثير الأدبي الذي أحدثه الحصر البحري — ذلك الاقتراب غير المباشر الآخر القائم على الاستراتيجية العظمى — كان لهما وقع شديد على شعب جائع فاقد الأمل ، دفع الحكومة الألمانية في الأيام الأخيرة نحو التسليم إذ كانا بمثابة مهمازين ينخسان في جنبي جواد جاح . على أن الذي جعل الجواد يجمع هو فرقة السوط . وفرقة السوط هي انهيار بلغاريا وقد عززتها أول الأخبار المنبئة بتجديد الهجوم الجبهي في فرنسا .

فأسقط في يد القيادة العليا — بضع أيام فقط . فكانت كافية . وفات أوان الاستفاقة . وفي ٢٩ سبتمبر عجلوا بقرار طلب الهدنة بحجة أن انهيار الجبهة البلغارية قد قلب الأوضاع رأسا على عقب "فان الجنود المقرر ارسالها الى الجبهة الغربية أرسلت الى بلغاريا بحكم الضرورة" وأن ذلك قد غير الموقف "تغيرا كليا" بالنسبة لهجمات التي كانت تقع آتئذ على الجبهة الغربية . لأنها "وان كانت قد صدت حتى الآن الا أنه لا بد أن يحسب حسابها" .

وهذه العبارة تشير الى التعرض العام الذي قام به "فوش" وكان الهجوم على جبهة "الموز" و"الأرجون" قد بدأ في ٢٦ سبتمبر ولكنه في ٢٨ منه كان قد توقف فعلا . وابتدأ هجوم فرنسي ، بلجيكي ، بريطاني في فلاندرز في ٢٨ ولكنه وان كان مقلقا كان يظهر عليه أنه ليس مهددا تهديدا حقيقيا . غير أن في يوم ٢٩ كانت الضربة الرئيسية التي قام بها "هايج" تنزل بخط "هندنبورج" وكانت أخبارها الأولى مقلقة .

وفي ذلك الوقت العصيب استدعى البرنس "ماكس" ليكون كبير الوزراء ليفاوض في أمر الصلح بحجة ما له من سمعة الاعتدال والشرف بين الدول . ولكي يساوم مساومة مثمرة دون الاعتراف بالهزيمة كان يحتاج الى فرصة يتنفس فيها قدرها "عشرة" ، أو ثمانية أيام ، بل وحتى أربعة أيام ، قبل أن يعرض الطلب على العدو" وطلب هذه المهلة . غير أن "هندنبورج" لم يزد على أن أجاب بقوله "ان وخامة الموقف العسكري لا تسمح بالتأخير" وأصر على "عرض طلب الصلح على أعدائنا في الحال" .

وعلى ذلك عرض على الرئيس "ولسون" في ٣ أكتوبر طلب لعقد هدنة في الحال . وكان هذا الطلب اعترافا صريحا للعالم بالهزيمة . وحتى قبل ذلك - في أول أكتوبر - كانت القيادة العليا قد نخرت في أساس جبهتها الوطنية بأن أعلنت هذه الفكرة الى قادة الأحزاب السياسية في اجتماع عقدوه .

وهذا التنوير الفجائي أعمى عيون الرجال الذين قضوا هذا الوقت الطويل وهم في ظلام حالك . واستمدت منه عوامل الشقاق والسلام حافزا قويا يدفعها .

وفي ظرف بضعة أيام ازداد سرور القيادة العليا ، بل وتفاءلت خيرا ، حينما رأت أن النفوذ الى خط "هندنبورج" لم يعقبه اختراق فعلى لكل جبهة القتال والنفوذ منها . ثم جاءت أخبار أخرى مشجعة وهي أن قوة هجمات الحلفاء أخذت في التراجع ، وخصوصا في اتجاه الفرص . أما "لودندورف" فكان ما يزال يرغب في الهدنة . ولكن لا شيء الا ليربح جنوده قبل استئناف المقاومة ولكي يضمن سلامة انسحابهم الى خط دفاعي على الحدود أقصر من خطهم الحالي . وفي ١٧ أكتوبر بلغت به الحالة أن شعر بأنه يستطيع ذلك حتى من غير استراحة . وكان الباعث له على هذا الشعور طرء شيء من التقيح والتعديل على فكره في الحالة الراهنة . لا لأن الموقف قد تغير . فالموقف لم يكن في حالة سيئة في وقت ما مثل ما كان حينما وصفه في ٢٩ سبتمبر . غير أن فكره الأول كان الآن قد سرى بين الدوائر السياسية والجمهور في ألمانيا - وانشر كما تنتشر تموجات الماء حينما يلقي فيه حجر . وشرعت "الجبهة الوطنية" تنهار بعد ذلك ولكن انهيارها كان أسرع من انهيار جبهة المعارك .

وفي ٢٣ أكتوبر أجاب الرئيس ولسون على مطالب الألمان بمذكرة طلب فيها ما هو بمثابة التسليم بغير قيد ولا شرط . أما "لودندورف" فانه أراد أن يستمر في النضال بأمل أن الدفاع عن الحدود الألمانية دفاعا مثمرا قد يثبط من عزيمته الحلفاء . ولكن الموقف كان قد نخرج عن حدود سيطرته لأن قوة ارادة الأمة كانت انهدمت وعاب الناس عليه نصيحته . وفي ٢٦ أكتوبر اضطر الى اعتزال الخدمة .

أما كبير الوزراء فقد بقي في سجنه من النوم لمدة ٣٦ ساعة من تأثير جرعة منومة تجاوزت الحد . ولما عاد الى ديوانه في صباح ٣ نوفمبر لم تكن تركيا فقط قد أسلمت ، بل النمسا أيضا . فأصبح الباب الخلفي مفتوحا . وفي اليوم التالي قامت الثورة في ألمانيا وانتشرت في البلاد بسرعة ، وكان يؤجج ناراها ابطاء مفاوضات الصلح بسبب امتناع القيصر عن النزول عن العرش . وصارت الفرصة الوحيدة في الاتفاق مع الثوار . في ٩ نوفمبر تنحى الأمير "ماكس" عن أعماله "البرت" الاشتراكي . وكان اذ ذاك مفوضو الألمان يتفاوضون مع "فوش" لعقد الهدنة وفي الساعة الخامسة من صباح ١١ نوفمبر أمضوا الشروط ، وفي الساعة الحادية عشر صباحا وضعت الحرب أوزارها .

أما نتيجة الحرب فقد بت فيها نهائيا في ٢٩ سبتمبر، في رأى القيادة الألمانية . فقد انكسر كل من "لودندورف" وزملاؤه ، وكان لانكسارهم دوى تجاوزت أصداءه جميع أنحاء ألمانيا . وهذا الدوى سرى في البلاد لايحقه شيء ولا يوقفه . فالقيادة قد تسترد هدوء أعصابها واعتدالها . والموقف العسكرى ذاته قد يتحسن . ولكن التأثير الأدبى قد أصبح حاسما كما في أى حرب وقعت .

فمن بين الأسباب الأساسية لتسليم ألمانيا يرى ، حينما تتجلى السحب التى كانت مفيدة على الحرب وينكشف الجو في هذه الأيام التى أعقبتها ويظهر صفاؤه للعيان ، ان الحصر البحرى كان له شأن أعظم من غيره بكثير .

ففى وجود الحصر البحرى أصدق رد على التساؤل عما اذا لم يكن فى امكان الجيوش الألمانية الثبات والصمود فى حدود بلادهم لولا نشوب الثورة فيها . لأنه حتى لو أن الشعب الألمانى نشط لبذل أسنى مجهود له فى سبيل الدفاع عن أراضيه ، واستطاع أن يوقف زحف جيوش الحلفاء فان ذلك ما كان ليجدى شيئا سوى تأجيل النتيجة الأخيرة — بسبب تضيق القوة البحرية التى هى سلاح بريطانيا التاريخى .

على أن الفضل الأول فى تعجيل التسليم والحيولة دون استمرار الحرب فى سنة ١٩١٩ يرجع للأعمال العسكرية . وهذا الرأى ليس من الضرورى ، ولا من الطبيعى ، أن يفهم منه أن فى اللحظة التى عقدت فيها الهدنة كانت قوة ألمانيا العسكرية قد كسرت ، أو أن جيوشها قهرت قهرا حاسما . ولا أن منحة الهدنة كانت منحة خاطئة . بل ان تاريخ « المائة يوم » الأخيرة اذا غربل غثه من سمينه فانه يؤكد الدرس العريق فى القدم ، وهو أن الغاية الحقيقية المقصودة من الحرب هى عقلية العاهلين المتخاصمين لأجسام جنودهما . وأن الموازنة بين النصر والهزيمة تدور على مايتأثر به العقل ، ولا تدور على الضربات المادية الا بصفة غير مباشرة . فأت الذى هنز أعصاب "لودندورف" ، أكثر من خسائره فى الأسرى والمدافع والأراضى ، انما هى صدمة المفاجأة وشعوره بعموره عن مقابلة الحركات الاستراتيجية المحتملة الوقوع بما ينتقضا ويبتطل عملها .